الفهــــرس.

الفهـــرس .	1
مفتتـح القـول...	3
الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحــث.	6
I – - الخطوات المنهجيــة.	7
1- الإشكاليــة.	7
2- الفرضيــة.	7
-II- آليات البحث ومنهج التحليــل.	9
1- تقنيات البحث الميدانــي.	9
2- تقنية تحليل المضمــون.	14
-III- خصائص المجــال المـدروس.	14
1- المعطيات الجغرافيـة للجماعــة.	16
2- البنـية التحتيـة للجماعــة .	16
3- القطاعات الإنتاجية بالجماعــة.	17
4- القطاعات الاجتماعية بالجماعــة .	18
5- المعطيات الديموغرافية بالجماعــة.	19
الفصل الثـــــــاني : القبائل من منظـــــــــور سوسيوأنثروبولوجــي.	21
مقدمة الفصل الثانــي.	22
-I- القبائل وآليات اشتغالهــا.	23
1- مفهوم القبيلــة .	23
2- مفهوم العصبية القبليــة/أو الصراع العصبي.	25
3- نظريات سوسيولوجية وأنثروبولوجية حول القبيلــة.	27
أ- النظرية الخلدونيــــــة .	28
ب- المدرسة الماركسيــــــة .	31
ج- المدرسة الكولونياليــــــة .	34
د- المدرسة الإنقساميــــــة .	38
-II- القبلــية بجماعة أجلمــوس : مقاربة ميدانيــة .	43
1- البنيات القبلــية بأجلمــوس .	43

2- بعض المؤشرات الميدانيـة للقبلــية بالجماعــة . 47
أ- القبليــة والانتماء المجالي للسكــان. 47
ب- القبلـية والعلاقـات الاجتماعيــة . 49
الفصـل الثالـث : الأبعـــــاد السوســــيوأنثروبولوجية للسلوك السياسي/ الإنتخابي للمغاربة. 52
مقدمـة الفصـل الثالــث . 53
-I- السلـوك السيـاسـي للمغاربــة. 54
1-الانقساميـة والسلـوك السياســي. 54
2- السلوك السـياسي لبعض النخب السياسيــة. 59
أ – النخبـة السياسيـة التقليديــة (نمــوذج العيـن التقليـدي). 59
ب- النخبـة السياسيـة الجديــــدة (نمــوذج العيـن الجديـد). 64
-II- السلـوك الانتخابــي . 67
1- مفهوم السلـوك الانتخابــي. 67
2- السلـوك الانتخـابـي: مقاربـة ميدانيـة. 70
أ- موقـف ساكنـة أجلمـوس من الإنتخـابات. 70
ب- السلـوك الانتخـابـي بين السيـاسي والقبلـي. 71
خلاصة القـــول... 77
المراجـــع (بيبليوغرافيا) . 79

مفتتـح القــول...

"إن التحولات التي لحقت هياكل المجتمع المغربي، لتســتحق أن يتم التفكير في طبيعتها، لا لقياس درجة النمو او التخلف. وإنما لتحليل منطق النظــــام الاجتمــــاعي. والبحث في هــــذا المنطق هو تنقيب أركيولــوجي في المجتمع ، ومن هنا رجوعنا إلى الماضــي."([1]). لكن، لمــــاذا العــــودة إلى الماضي ؟ وما علاقته بالحاضر ؟ ألم يســــتطع المســتعمر الفرنســي، ومن بعــده الدولة المغربية القضــاء على كل البنيـات التقليدية للمجتمع المغـربي، أو بـالأحرى إقحامها في منظومة البنيات الحداثية على حد تعبيرهم..؟

كلها أسـئلة، كـانت، ولا تـزال تراودنا ونحن نفكر في إنجـاز هـذا البحث الــذي حاولنا من خلاله مقاربة الســلوك السياسي للمغاربة من خلال ظاهرة الانتخابات بالجماعة القروية ***لأجلموس***. وبطبيعة الحال، فإن هدفنا هنا هو محاولة معرفة موقع السلوك الانتخابي لســاكنة هاته القرية بين الســــلوكات السياســــية المعروفة في علم الاجتمــــاع والأنثروبولوجيا السياسية.

فكما هو معــروف، تعتــبر ظـاهرة الانتخابـات ظـاهرة جديـدة لم يشهدها المجتمع المغربي إلا مع بداية الستينيات من القرن العشـرين. لكن هل اسـتطاع المغاربة أن يتكيفـوا مع هـذا المولـود الجديـد؟ وهل يمكن تحقيق هـذا الهـدف بنفس البســاطة الـتي يظنها بعض الـدعاة على التحــديث وإلى عصــرنة البنيـات الاجتماعية والسياســية للمجتمع المغربي؟

تلك كــانت أســئلة عديــدة إلى جــانب ***عوامل ذاتية*** وأخــرى ***موضوعية*** دفعتنا إلى التفكـير في إنجـاز هـذا البحث.فمن جهة كـان

---

[1] - بورقية، رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع : دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل بالمغرب، دار الطليعة، بيروت، ط 1. 1991، ص 5.

القلق الـــــذي يراودنا أثنـــــاء كل عملية انتخابية يتم إجراءها بجماعة ***أجلمـوس***،والــتي تفضي دائما إلى إنتــاج منتخــبين لا يختلفــون عن سابقيهم إلا ببعض الشكليات، ومن جهة ثانية فقرحة الانتمـاء إلى هـذا الــوطن الجــريح وإلى تلك البلــدة المهمشـــة، دفعنا إلى التفكــير في الأسباب التي تساهم في تكريس هذا الوضع الأليم.

وبنــــاء على كل هـــذا وذاك جـــاءت هاته الدراسة الـــتي ارتأينا تقسيمها إلى ثلاث فصول :

الفصل الأول: وهو فصل منهجي بالأســاس ســنقوم فيه بعــرض تقنيـات البحث الميـداني، وكـذا الخطـوات المنهجية الـتي اتبعناها عند تناولنا للظــاهرة المدروسة ميــدانيا، وفيه أيضا ســوف نقــوم بعــرض مقتضب لبعض خصائص المجال المدروس بغية تعريفه للقارئ.

الفصل الثاني : وسوف نتنـاول فيه بعض المفـاهيم والنظريـات المرتبطة بإشكالية البحث وفرضياته، وهي مفاهيم تتمحـور كلها حــول مفهوم القبيلة، لما لهذه الأخيرة من علاقة وطيدة بالســلوك السياسي والاجتمــاعي للمجتمع المــدروس، وفيه أيضا ســوف نقـارب الظــاهرة القبلية على المستوى الميداني.

الفصل الثــالث : ســـوف نعـــرض فيه هو الآخر بعض المفـــاهيم والنظريات الأساسـية الـتي لها علاقة بالســلوك السياسي والانتخــابي، وكـــذلك بعض الفـــاعلين البـــارزين في هـــذا المجـــال، دون أن ننسى الميدان الذي يبقى دائما سيد الموقف في كل دراسة سوسيولوجية.

هاته هي المراحل التي سنقطعها في بحثنا هذا، والــتي ســنحاول من خلالها- ارتباطا بموضــوع البحث- أن نجيب عن **أسـئلة الانطلاق** التالية:

ما هي الأبعاد السوسيوانتروبولوجية للسلوك السياسي/الانتخابي للمغاربة عامـة، وسـاكنة ***أجلمـوس*** بصـفة خاصة ؟ ما طبيعة هـذا السـلوك في مجتمع يمكن أن نطلق عليه بلغـة"بـول باسـكون" إسم المجتمع "المركب" الذي يجمع بين الشيء ونقيضه ؟ ما هي محـددات السـلوك الانتخـابي لسـاكنة ***أجلمـوس***؟ لمـاذا تختـار هـذه السـاكنة التصويت على أشـخاص دون غـيرهم؟ لمـاذا تـدعم الأحـزاب أشخاصا دون غيرهم ؟ كيف تنظر هاته الساكنة للعملية الانتخابية؟ ما علاقة كل هذا بالقبيلة ؟ هل ما زال مفهوم القبيلة يحدد السـلوكات الاجتماعية و السياسية لهذا المجتمع ؟

الفصل الأول:

الإطــار المنهجـي للبحـث الميـداني.

I- الخطـوات المنهجيـة.

1- الإشكاليـة :

بما أن تحديد الإشـــكالية يعتـــبر من البـــؤر المركزية ضـــمن الخطـــوات المنهجية للبحث السوســـيولوجي الميـــداني، لما لهـــذه الخطوة من أهمية على صعيد ترجمة موضوع البحث وقضيته في بنــاء تساؤلي منظم حـول ما ينبغي التفكـير والبحث فيـه، ولما لها أيضا من أهمية في رسم خطـــوات العمل اللاحقة وخاصة ما يتصل منها بوضع فرضـيات الدراسـة([1])، فإننا قمنا احتراما لكل هـذا بطـرح الإشـكالية التالية :

من يصـــــنع الآخر ؟ السياسة أم النسب والعلاقـــــات الاجتماعية التقليدية ؟ هل الانتمـــاء السياسي للمرشح هو الـذي يجعل منه شخصا بـارزاً وبالتـالي مقبـولا من طـرف النـــاخبين أثنـــاء العملية الانتخابيـــة، أم أن هنـــاك عوامل ومحددات أخرى هي التي تساهم في تحديد هـذا الاختيـار، من قبيل امتلاك المرشح لرأسمال اجتماعي تقليـدي، كـأن يحضى بنسب بارز من داخل جهته، أو قبيلته أو دواره ؟

وحتى تتضح هاته الإشكالية أكثر يمكن أن نقول:

ما هي محددات السلوك الانتخـابي- باعتبـاره سـلوكا سياســيا – لسـاكنة أجلمـوس ؟ هل يتحـــدد هـذا السـلوك انطلاقا من الانتمـــاءات السياســية الحديثة أم أنه مـــازال خاضـعا- بصـيغة أو بـأخرى- للعلاقـات الاجتماعية التقليدية

---

[1] - حمداش،عمار، تقنيات البحث السوسيولوجي،دفاتر طالب علم الاجتماع (رقم 1)، المطبعة السريعة، القنيطرة، ط.1 ، 2006، ص 19-20.

المبنية أساسا على العلاقـــات الشخصـــية، كالجهويـــة، والقبلية وغيرها ؟

2- الفرضيـــــــــــــــــــــــــــة:

إذا كــانت الفرضــية في تعريفها البســيط مجــرد احتمــال قابل للتكذيب أو التصديق، أو مجـرد إجابة أولية عن أسـئلة البحث، فـإن وضعها لا يعني ترك البـاب مفتوحـاً على أي احتمـال كـان، بقـدر ما يعــني أن بناءها يــترجم قــدراً كافيا من تلك الــروح العلمية ومن المــؤهلات المعرفية للبــاحث([1]). لــذلك فلقد ارتأينا ، بنـــاء على ملاحظاتنا الأولية للظـــــاهرة المدروسة وعلى بعض المقـــــابلات الاستكشافية الـتي أجزناها في ميـدان الدراسـة، وكـذلك بنـاء على قراءتنا لبعض الدارسات الـتي تنـاولت نفس الموضـوع الـذي نحن بصدد البحث فيه، أن نضع الفرضية المركزية التالية :

- ***نفترض تدخل عامل الانتماء الجـوي والقبلي،... في تحديد وصـناعة السـلوك الانتخـابي لسـاكنة الجماعة القروية لأجلموس، وهذا ما معناه تسـرب ثقافة العصـبية القبلية إلى ذهنية المجتمع المعاصر وســـلوكاته، من هنا دورها الكبـــير في توجيه الســـلوك الانتخـــابي كســـلوك سياسي لســـاكنة أجلموس، ومن هنا يمكن القول بـان هـذا السـلوك مـازالت تتحكم فيه إكراهات البنيـات الأولية بجميع أبعادها المتجـدرة في التـاريخ القـديم لهـذا المجتمـع، وهـذا ما يحـول دون أن يكون للبنيات الثانوية، من قبيل الانتمـاء السياسي الحــزبي، أي دور في تحديد توجهات هذا السلوك.***

[1] - حمداش، عمار، تقنيات البحث السوسيولوجي...،م.س.ص 21.

وقد قمنا إغناء لهذه الفرضية المركزيـة، بوضع الفرضـيات الفرعية التالية:

1- ***حضور عامل النسب البارز في تحديد توجه السـلوك الانتخابي لساكنة أجلموس ؟***

2- ***حضــور عامل القرابة الدموية في تحديد توجه هــذا السلوك؟***

3- ***حضــور عامل العلاقــات الشخصــية في تحديد توجه هذا السلوك ؟***

4- ***حضور عامل الغنى /المــال/ الــثروة في تحديد توجه هذا السلوك؟***

5- ***حضـــور عامل الهبـــات والـــولائم في تحديد هـــذا السلوك ؟***

II- آليات البحث ومنهج التحليل :

1- تقنيـات البحـث الميدانـي:

إن أول أســئلة تتبــادر إلى ذهن البــاحث السوســيولوجي،عند محاولته القيام بملاحظة ظاهرة اجتماعية ما، هي: ماذا سألاحظ ؟إلى من ينبغي أن أتوجه بالسؤال ؟ و كيف ذلك؟

في إطــار إجابتنا عن هاته الأسـئلة، ارتأينا التعامل مع الظــاهرة الــتي ندرســها وفقا ***لتقنية التحليل الكيفي***، وذلك باعتمــاد أداتي ***الملاحظة*** (المباشرة وغير المباشــرة) و ***المقابلة شبه الموجهة***، وهما آليـتين غالبا ما يكـون لهما ما يكفي من الفعالية لجمع معطيـات مهمة ودقيقة بالنســـــبة للبـــــاحث، خاصة إذا علمنا أن الشـــــريحة المســـتهدفة للبحث تنتمي إلى مجتمع تشـــكل فيه الأمية نســـبة جد مرتفعة، وهنا تكمن صـعوبة اسـتعمال "الاسـتمارة" الـتي تـوجب على المبحـــوث أن يكـــون متعلمـــا، ثم إنها من جهة ثانية تخضع لترســـمة وصـياغة نهائية تقيد المبحـوث أكـثر مما تسـمح له بـالتعبير عن تجربته بحرية([1]).

وقد تضـــمنت ***المقابلة*** الـــتي اعتمـــدناها أســـئلة مؤقتة قابلة للتعـديل أو الإضـافة حسب نـوع وظـروف المبحـوث وسـياق إجـراء المقابلـــة، وهي أســـئلة موزعة على ثلاث محـــاور، الأول تناولنا فيه الظـــاهرة القبلية وكل ما يتعلق بهـــا، والثـــاني تطرقنا فيه لظـــاهرة الانتخابات والسلوك الانتخـابي، أما الثـالث فيتضـمن بعض المعلومـات الخاصة بالمبحوثين.

---

[1] - ورد، عبد المالك، الفاعل المحلي وسياسة المدينة بالمغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث، الطبعة الأولى 2006. ص28.

ونظراً لكون موضوع البحث هو الذي يفرض على الباحث اختيـار نوع العينة التي سـيتوجه إليها بالسـؤال، فلقد لجأنا إلى اعتمـاد صـنف ***العينة العمدية/ القصدية*** باعتبارها أداة يتم من خلالها اختيار أفراد أو منـاطق بشـكل تتـدخل فيه رغبة البـاحث وإرادتـه، باعتمـاده على مؤشرات ومعطيات تبرر ذلك الاختيار([1]).

وبنـــاء على هـــذا فلقد قمنا بتحديد عينة من ***28 مبحوثا***، من بينهم منتخبين،مراعين في هذا التحديد متغيرات عدة من قبيل متغير السن، متغير الانتمـاء إلى المجـال متغـير المسـتوى الدراسـي، متغـير الجنس، وأخيرا متغير الانتماء السياسي/الحزبي، ويمكن أن نوضح هذه المتغيرات على الشكل التالي :

- **توزيع العينة حسب متغير السن** :

الفئة العمرية	التكرار	النسبة المئوية (%)
18 -29	5	17,85 %
30 -39	6	21,42 %
40 - 49	6	21,42 %
50 - 59	6	21,42 %
60 (**فما فوق**)	5	17,85 %
المجمـــوع	28	100 %

لقد اخترنا كما يتضح في هــذا الجــدول عينة تتكــون من فئــات عمرية متنوعة، ابتداء من السن 18 فما فـوق، باعتبـار هـذا الأخـير هو

[1] - غريب ، عبد الكريم، منهج وتقنيات البحث العلمي :مقاربة ابستيمولوجية، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء ، الطبعة الأولى 1997، ص 78.

السن القــانوني الــذي يمكن صــاحبه من المشــاركة في الانتخابــات بالمغرب.

- **توزيع العينة حسب متغير المجال:**

المجال	التكرار	النسبة المئوية (%)
المركز الشبه حضري	10	% 35,714
الهامش/البادية	14	% 50
سكن مزدوج	4	% 14,28
المجموع	28	% 100

يتضح من خلال هــذا الجــدول ، أن العينة الــتي اخترناهــا، يهيمن عليها طـابع الانتمـاء إلى المجـال البـدوي (الهـامش) (بنسـبة 50 %)، وهـذا كـان مقصـوداً منـا، لأن اغلب سـاكنة جماعة أجلمـوس تسـتقر بـــالبوادي، وفي المرتبة الثانية تـــأتي العينة الـــتي تنتمي إلى المركز بنسبة (35،71 %)، ثم في المرتبة الأخيرة تأتي العينة ذات الانتمـاء المجالي المزدوج بنسـبة 14،28 %، وهـذا الأخـير يـدل على أن هـذا المجتمع يشـــهد حراكا مجاليا بطيئا في اتجـــاه التحضـــر، خاصة في السـنوات الأخـيرة، وهـذا ما لاحظنـاه من خلال التطـور الـديموغرافي الذي تشهده ساكنة المنطقة.

- **توزيـــع العينـــة حســـب متغـــير المســـتوى الدراسي** :

المستوى الدراسي	التكرار	النسبة المئوية **(%)**
غير متمدرس	12	% 42,85
ابتدائي	1	% 3,57
إعدادي	5	% 17,85
ثانوي	5	% 17,85

جامعي	5	17,85 %
المجموع	28	100 %

إن طابع اللاتمدرس (نسبة 42،85 %) هو المهيمن على عينتنا، وإن دل ذلك على شـــيء، فإنه يعكس لنا النســبة الكبــيرة من الأمية التي ما تزال تهيمن على هـذا المجتمع (أجلمـوس)، والمجتمع الأمي لا يمكن إلا أن يكـــون أميا على جميع المســـتويات بما فيها المســـتوى السياسي وهو الذي يهمنا في هذا البحث.

- **<u>توزيع العينة حسب متغير الجنس:</u>**

الجنس	التكرار	النسبة المئوية (%)
إناث	10	35,71 %
ذكور	18	64,28 %
المجموع	28	100 %

إن الفقر الذي تشهده العينة التي اعتمدناها على مستوى الإنـاث (نسـبة 35،71 %) مقابل غـنى عينة الـذكور (64،28 %) يعكس تلك الصــعوبة الـــتي وجـــدناها في اســـتجواب النســـاء، وخاصة منهن المتزوجــات، في مجتمع ينظر إلى المــرأة باعتبارها مجــرد موضــوع Objet أو جسد يحق للرجل أن يفعل به ما يشـاء، لأن هـذا الأخـير يعتبر نفسه ممتلكا لذلك الجسـد، وهـذا يعكس تبعية المـرأة لقـرارات الرجل، خاصة عندما يتعلق الأمر بالقرارات السياسية كالمشــاركة في الانتخابـات، وهـذا لاحظنـاه في خطـاب أغلب المبحـوثين سـواء كـانوا ذكوراً أو إناثا.

- توزيع العينة حسب متغير المهنة :

النسبة المئوية (%)	التكرار	المهنة
% 10,71	3	**موظف**
% 46,42	13	**فلاح**
% 3,57	1	**خياط**
% 7,14	2	**تاجر**
% 10,71	3	**عامل**
% 3,57	1	**طالب**
% 7,14	2	**ربة بيت**
% 10,71	3	**عاطل**
% 100	28	**المجموع**

كما هو متضح هنا، فـإن مهنة الفلاحة وخاصة التقليديـة، منها هي الخاصـية المهيمنة على عينتنا (بنسـبة 46،42 %) وهو مؤشر طـبيعي يجب أن لا يثـير اسـتغرابـ القـارئ، خاصة إذا علمنا أن المجتمع الـذي ندرسه هو مجتمع قـــروي/بـــدوي لم يحسم بعد مع أنمـــاط الإنتـــاج التقليديـــة، وها جد مهم بالنســبة لنا لأنه يعكس لنا مــدى تقليدية هــذا المجتمع الذي ندرسه.

- **<u>توزيع العينة</u>** حسب متغير الانتماء السياسي :

النسبة المئوية (%)	التكرار	الانتماء السياسي
10,71	3	**منتمي**
17,85	5	**متعاطف**
71,42	20	**غير منتمي**
100	28	**المجموع**

نســتنتج من خلال هــذا الجــدول، أن هاته العينة يغلب عليها طــابع عــدم الانتمــاء إلى توجه سياسي معين (بنســبة 71،42 %). ولعل أهمية هــذا المؤشر تكمن في كونه يســـاهم في تعزيز فرضـــيتنا الـــتي مفادها أن الســلوك الانتخــابي لســاكنة اجلمــوس لا تحكمه الانتمــاءات السياســية الحديثـــة، الأمر الـــذي يعكس الأمية والعطالة السياســـيين على هـــذا المجتمع.

2- تقنيـة تحليـل المضمـون :

لقد اعتمـدنا في تحليلنا للمعطيـات الميدانية الـتي قمنا بتجميعها من خلال الملاحظة والمقـــابلات الـــتي أنجزناها على ***تقنية تحليل المضمون***، باعتبارها أداة تطبق على كل أنواع الخطاب Discours ، قصد الوصـول إلى فهم مضـمونه، وبالتـالي فك وتحليل ما هو غـامض ومبهم فيه عن طريق أســلوب الاســتدلال الاســتنتاجي([1]).إنها بصــفة عامة عبــارة عن وســيلة تســلح البــاحث بــأدوات منهجية وبأســئلة ابســـتيمولوجية كفيلة بفك طلاسم المتن المنتج وتأويله تـــأويلا علميا ملائما[2].

III- خصائص المجــال المدروس :

تم إحداث الجماعة القروية لأجلموس بمقتضى الظهير الشــريف الصــادر ســنة 1959، المتعلق بالتقســيم الإداري، ويقع مقرها الإداري بمركز أجلموس، وهي تابعة لنفوذ عمالة خنيفرة التي تبعد عنها بأربعة وثلاثين (كلم) و التابعة بدورها لجهة مكناس تافيلالت([3]).

---

[1] - أوزي، أحمد، تحليل المضمون ومنهجية البحث، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط 1993. ص14.
[2] -ورد، عبد المالك، الفاعل المحلي ...، م.س، ص 29.
[3] - الكتابة العامة لجماعة أجلموس، مونوغرافيا الجماعة القروية أجلموس، 2004، ص1.



خريطة تبين موقع جماعة أجلموس بين الجماعات الأخرى من داخل إقليم خنيفرة؛ وكذلك موقع هذا الاقليم بالأقاليم الأخرى المحيطة به

1. المعطيات الجغرافية للجماعة :

تقع جماعة ***أجلمــوس*** في قلب جبـال الأطلس المتوسـط، بحيث تعتـبر نقطة عبـور إلى كل من "أولمـاس" (التابعة لنفـوذ الخميسات) و "مولاي بوعزة" و "خنيفرة" و "مريرت".

تحدها شمالا جماعة "أولماس" وجنوبا "جماعة سيدي اعمـر" وغربا "جماعة حد بوحسوســــن" وشـــرقا " جماعة الحمـــام" و " جماعة الــبرج". وتحتل مســاحتها ما ينــاهز 746 (كلم²). وأرضـــها عبارة عن جبـال وهضـاب وقليلا من الأراضي المنخفضـة، وكل هاته العناصر تكسوها غابات من أشجار البلوط الفليني([1]).

2. البنية التحتية للجماعة :

تتــوفر جماعة أجلمــوس على بنية تحتية ضـعيفة إن لم نقل منعدمة ويمكن إجمالها فيما يلي :

- **الشبكة الطرقية** : تخترق جماعة أجلموس شبكة طرقية هشة متمثلة فيما يلي : الطريق الجهوية رقم 407 العابرة لمركز " أجلمــوس" من "خــنيفرة" في اتجــاه "أولمــاس"، ثم الطريق الجهوية رقم 719 الرابطة بين الطريق المؤدية إلى "مريـــــرت" في اتجاه "مولاي بوعزة".

- **الماء الشـروب** : بالنسـبة للمـاء الشـروب، فـإن سـاكنة مركز أجلمـوس تعـرف تغطية شـاملة بشـبكة المـاء الشـروب، ومصدر هذه الشبكة هو مياه "واد أم الربيع"، عـبر مضـخة مدينة "خنيفرة"، أما بالنسبة لساكنة المجال البدوي، فتعتمد على ميـاه الآبار والعيون.

- **الكهربـــــــ** [illegible] تم ربط مركز أجلمـوس بشـبكة الطاقة الكهربائيـة، أما بالنسبة للساكنة البدوية، فإن بعضها يعتمدون الطاقة الشمسية.

- **البريد والمواصلات** : يتوفر مركز أجلمـوس على مكتب بريد واحد يقــدم الخــدمات في هــذا المجــال، كما يتــوفر على

---

[1] - الكتابة العامة...م.س،ص1.

مجموعة كبيرة من المخادع الهاتفية الخاصـة، والتابعة لاتصـالات المغرب، وميـديتيل، بالإضـافة إلى تـوفره على شـبكات الهـاتف اللاسلكي (وانا، اتصالات المغرب، ميدتيل).

- **المؤسسـات المالية** : تتواجد بـأجلموس مؤسسة مؤسسة مالية واحدة، وهي عبارة عن فرع تابع لمؤسسة البنك الشعبي([1]).

3. القطاعـات الإنتاجيـة بالجماعة :

أ- الفلاحــة:

يرتكز النشــاط الاقتصــادي للجماعة على الفلاحة التقليدية بشقيها، الزراعة، وتربية المواشي:

- **الزراعــة**: تشكل الأراضي الصالحة للزراعة حـوالي 46 ألف هكتــار، من ضــمنها 160 هكتــار مســقية، والبـاقي عبـارة عن أراضي البـور. ويضم معظم هاته الأراضي أنواع مختلفة من الحبـوب (القمح، الشـعير، الكلأ...)([2]).
- **تربية المواشي**: تزخر الجماعة برصــــيد مهم من المواشي، الـتي تعتـبر تربيتها نشـاطا أساسـيا لأغلب السـاكنة، وهي تشــمل كل من (الغنم: 120.000 رأس، المعز 6000 رأس، البقر 8000 رأس، الدواب: 700 رأس).

ب- الصناعة والمعادن : فيما يخص الصناعة، فهي منعدمة بتراب الجماعـة، أما المعــادن، فـإن الجماعة لا

---

[1] - الكتابة العامة...م.س ، ص2.
[2] - ن.م، ص4.

تتوفر إلا على منطقة كرانيتية وكـذلك على مـادة الرمل الجيد بنفس المنطقة المسماة "منت"([1]).

ج-التــجـــارة : تتوفر جماعة أجلموس على سوق أسـبوعي تقليـدي كبـير، يتم اسـتغلاله يـوم السـبت، ويعـرف رواجا خاصة في ميدان الماشـية، وتتـوفر الجماعة أيضا على دكاكين تجارية عديدة، وعلى سوق مغطاة تعـرض فيه الخضر والفواكه واللحوم"([2]).

د-الصناعة التقليدية : فيما يخص الصـناعة التقليديـة، فـإن جماعة أجلموس لا تتوفر إلا على بعض المحلات التي تمارس فيها النجارة، والحدادة([3]).

4. القطـاعات الإجتماعـية بالجماعة :

يمكن إجمال هذا القطاع في المؤسسات التالية :

1- **التـعلـيم** : يتواجد بمركز أجلموس ثانوية واحدة، وإعدادية واحدة، وثلاث مدارس ابتدائية، أما المجال البـدوي فيعـرف خمس مجموعات مدرسية ابتدائية متفرقة.

ويحتـوي المركز أيضا على دار شـباب واحـدة مغلقة الأبـواب منذ أن تم بناؤها.

2- **الصحـــة** : رغم أن عدد سـاكنة أجلمـوس يتجـاوز 35 ألف نسـمة، فإنها لا تتـوفر إلا على مركز صـحي واحـد، يتكـون طاقمه من طبيب واحد، وسـبعة ممرضـين([4])، وهـذا دليل على الخصاص المهول في ميدان التطبيب بالمنطقة.

---

[1] - الكتابة العامة...م.س ، ص 4.
[2] - ن.م، ص 4.
[3] - ن.م، ص 4.
[4] - ن.م، ص 5.

5. المعطيات الديموغرافية للجماعة :

حسب إحصاء 2004، فإن سـكان الجماعة القروية لأجلمـوس يبلغ 35217 نسـمة، وهو رقم مـوزع على مجـالين، الأول بـدوي يتميز بالسـكن المتفـرق وقليلا من التجمعـات السـكنية، ويقطنه ما يناهز 24458 نسمة. والثاني شبه حضري (المركـز) يقطنه 11387 نسمة([1]).

ومن أجل إبراز بعض التغيرات التي شهدتها ساكنة الجماعة خلال السنوات الإحصائية التـالية: 1971، 1982، 1994، 2004، سـوف نـعتمد الـجدول التالي: ([2])

السنوات الإحصائية سكان الجماعة	1971	1982	1994	2004
سكان المركز	1622	4092	9062	113.87
السكان البدويون	20859	24317	26155	24458
المجموع	22481	28409	35217	35217

من خلال هذا الجـدول يتضح لنا أن السـاكنة البدوية كـانت ولا تـزال تشـكل نسـبة كبـيرة من عـدد السـكان بالمقارنة مع سـاكنة المركز، إلا أنه هناك ارتفاع سريع لسـاكنة المركز في مقابل تراجع عدد سـاكنة البـوادي خصوصا في السـنوات الأخـيرة، مما يعـني أن

[1] - الكتابة العامة...م.س ، ص1.

[2] - لحسن جيبو، بحث لنيل الإجازة في القانون العام - تخصص إدارة داخلية، حول الجماعة القروية لأجلموس، تحت إشراف ذ/ احمد السنيهجي، كلية الحقوق، مكناس، 1997-1998، ص8.

هذا المجتمع يسير في طريقه نحو (التمدن) بالرغم مما يطرحه هذا الأخير مـن إشكالات، فالتمدن يتطلب شروطا وخصائـص هـي شبـه منعدمـة فـي مدينـة صغيرة كـ"أجلموس".

ورغم ذلـك، فـإن الارتفـاع الـذي ما زالت تشـهده السـاكنة البدوية بجماعة أجلمـوس، هو بمثابة مؤشر يعكس أن هـذا المجتمع مازال تقليـديا في معظمـه، وربما هـذا المؤشر قد يـدعم فرضـيتنا المركزية الـتي مفادها أن السـلوك الانتخـابي لسـاكنة أجلمـوس ما زالت تتحكم فيه العلاقـــات الاجتماعية التقليديـــة. ويســـاهم في تكريس هـذا الوضع أكـثر، تقـادم القطاعـات الإنتاجيـة، وكـذلك تلك البنية التحتية الشبه منعدمة.

هــذه كلها عوامل وأخــرى عديــدة، تحــول دون تحــول هــذا المجتمع ونموه، حتى يكون قادراً على مسايرة التطور الذي يشهده العالم ثقافيا، اجتماعيا، اقتصاديا وسياسيا.

الفصل الثاني:

الــقبائــل من منظور سوسيوأنتروبولوجـي

مقدمـة الفصـل الثانـي:

قد يتسـاءل القـارئ لهـذا العمـل، لمـاذا نتنـاول في هـذا الفصل مفهـوم القبيلـة؟

إن جوابا عن هذا السؤال يدعو هـذا القـارئ، المفـترض أن يعـود لقراءة إشكالية هذا البحث، وكذلك فرضيته الـتي اعتبرنا من خلالها أن الســلوك الانتخــابي – موضــوع البحث- رغم تــأطيره بما هو حــداثي مرتبط بما تفرضه التحولات الداخلية والخارجية للدولة المغربيــة، فإنه تتحكم فيه دوافع ومحـددات تقليدية ذات مرجعية متجـدرة في التـاريخ القديم للمجتمع المغربي.

وبما أن العصــبية القبيلة وآليــات اشــتغال القبائل هي القــانون المتحكم – في أغلب الأحيان- في السلوك الانتخابي، كما افترضنا ذلك سابقا، فلقد ارتأينا بناء على ذلك أن نخصص هذا الفصل لنتنــاول من خلاله تحديد بعض المفاهيم المستعملة في هـذا الحقـل، وكـذلك أبـرز النظريات التي تناولت القبيلـة. هـذا ودون أن ننسى جانبا مهما في أي دراسة سوسيولوجية، إنه الجانب الميداني، الـذي سـنحاول من خلاله أن نتأكد من مدى حضـور العصـبية القبلية في سـلوك سـاكن الجماعة القروية لأجلمـوس. فما المقصـود إذن بمفهـوم القبيلة ؟ وما ذا تعـني العصـــــبية القبلية ؟ وما هي أهم النظريــــــات السوســـــيولوجية والأنتروبولوجية الـتي تناولتها بالدراسة والتحليل ؟ وما مــدى حضــور العصبية القبلية (كنزعة) من داخل مجتمع اجلموس؟

I- **القبائل وآليات اشتغالها** :

إن تحديد المفاهيم وتعريفها يعتـبر مرحلة أساسـية من داخل أي بحث سوسـيولوجي، بل أكـثر من ذلك يمكننا أن نجـازف ونقـول بـأن التحديد الجيد للمفاهيم المتناولة في بحث من هذا النوع، له تأثير كبـير على مدى دقة المعطيات الـتي سـيقدمها البـاحث في بحثـه، وبالتـالي توصله في آخر المطاف إلى بحث جيد، ذلك لأن تحديد المفاهيم يمكن كل من الباحث والمبحوث، بل وحتى القارئ أيضـا، من فهم معطيـات البحث والإشكالية التي يطرحهـا، لـذلك ارتأينا أن نحـدد جل المفـاهيم الأساسية التي سنعتمدها في هذا الفصل.

1-*مفهوم القبيلة* :

يعتبر مفهوم القبيلة من المفـاهيم الـتي أثـارت اهتمـام العديد من البـــاحثين، وخاصة السوســـيولوجيين والأنتروبولوجـــيين الكولونيـــاليين الـــذين احتلت القبيلة مركز اهتمامـــاتهم العلمية والسياسـية، إلا أن هـذا لا يعـني أنهم أول من اهتم بهـذا المفهـوم، فبالعودة إلى التاريخ العربي نجد أن للعرب تراثا قبليا غنيـا، باعتبـار أن القبائل وحـــــدة اجتماعية محورية صـــــاحبت مختلف مراحل تاريخهم، وتميزت بحضور فاعـل، لازال يسـتمر حـتى الآن في كثـير من المنـــاطق العربيـــة([1])، لهـــذا نجد أن العديد من البـــاحثين والدارسين لهذا المصطلح، كما صرح بذلك صاحب "لسان العرب"، قد حددوا له عدة تعريفات، من بينهم نجد "ابن الكلبي" الـذي يـرى أن الشعب أكبر من القبيلة، ثم بعدها العمـارة ثم البطن ثم الفخـذ، واشـتق "الزجـاج القبائل من قبائل الشـجرة أي أغصـانها، والقبيلة هي الجماعة من النـاس يكونـون ثلاثة فصـاعداً من قــوم شــتى

[1] -بوطالب، محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (41)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الألى حزيران/يونيو 2002. ص 53.

كالزنج والروم والعـرب، وقد يكونـون من نحو واحـد. وربما من أب واحد([1]).

من خلال هذا التحديد العربي للقبيلة، يتضـح أن هاتـه الأخـيرة عنـد العـرب مفهـوم تم تحديـده بدقـة، من خلال الاتفـاق على أنهـا تمثــل جــزءاً ينــدرج في إطـــار تصــنيفات أخــرى متدرجــة يمكن تحديـدها كالتالي:[2]

-الجذم	الجمهور	الشعب	القبيلة	العمارة	البطن	الفخذ	العشيرة	الفصيلة	الرهط
Race	**Ethnïe**	**Peuple**	**Tribu**	**Fraction**	**Sous-Fraction**	**Segment**	**Clane**	**Lignage**	**Famille**

إن هذا التعريف العربي المقدم حـول القبيلـة، يجعل من هاته الأخـيرة وحـدة مماثلة لوحـدات أخـرى منفصـلة عنهـا، ويـبرز هـذا الانفصـــال باعتقـــاد المجموعـــات القبلية في انتمائها إلى جد أعلى مشترك([3])، مما يفسر وجود علاقات تعـارض وتنـافس وصـراع بين القبائل.

ونجد "عبد الرحمـان ابن خلـدون" في هـذا الإطـار يـرفض أن تكون القبيلة عبـارة عن جماعة متفرعة عن جد أول، لأنها لا تتحــدد حسـبه فقط بما يجمع بين أعضـائها من روابط الـدم([4])، وهو بـذلك يؤكد على أن الانتمـــاء إلى جد مشـــترك أمر وهمي لا حقيقة لـــه، فليس هنـاك في نظـره ما يضـمن أو يؤكد انتقـال دمـاء صـافية من الســـلف إلى الخلــــف، بل إن اختلاط الأنســـــاب هو الظـــــاهرة السائدة([5]).

---

[1] - ن،م، ص 53-54.

[2] - بوطالب، محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة ...، م.س. ص 54.

[3] -ن،م، ص 54.

[4] - ن،م، ص 56.

[5] - حجاج، محمد، محاضرة تحت عنوان : الأطروحة الانقسامية بين الإرث الخلدوني والسوسيولوجيا الوضعية"، شعبة علم الاجتماع، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مكناس،

إن لجـــوء القبائل إلى الجينيالوجيا في نظر "ابن خلـــدون" مجــرد إيــديولوجيا تمكنهم من الإحتمــاء من العــدو وتقوية شــوكة القبيلــة. إن الإطــار الحقيقي لهــذه الأخــيرة عنــده هو النسب في معنــاه الواسع والرمــزي، وما يمثله من أشــكال التحــالف والــولاء والانتماء، فالأرض عنده هي التي تمثل محور التحام الجماعة([1]).

2005/2006، ص 11.

[1] - بوطالب، محمد نجيب...، م.س، ص56.

2- مفهوم العصبية القبلية / أو الصراع العصبي :

إن الحـديث عن مفهـوم العصـبية القبلية أو الصـراع العصـبي يقتضي بالضرورة العودة إلى صاحب "المقدمة" "عبد الرحمان ابن خلـدون"، حيث حــاول أن يعطيه تعريفـا مفصـلا، فمـاذا يقصـد إذن "ابن خلدون" بهذا المفهوم ؟

إن الإجابة عن هـــذا الســـؤال تقتضي الإشـــارة إلى أن "ابن خلـدون" ليس أول من ابتكر كلمة عصـبية، فلقد كـانت شـائعة في اللغة العربيــة، خاصة بعد الإسـلام الـذي صــرف معناها إلى الدلالة على التنــازع والفرقة والاعتــداد بالأنســاب، وذلك في مقابل الــدين الــذي يــدعو إلى الوحــدة والتــآخي وتــآلف القلــوب([1]). لقد حــاول الإسلام أن يغض الناس عن العصبية، لأنها دعـوة مفرقة تقـوم على تناصر فريق ضد آخر في حالة النـــزاع والخصــام مما يــذكي الفتنة ويشــعل الحــرب بين القبائــل. ولم يكن هــذا التناصر العصــبي أو النصرة القبلية تستهدف دائما إقرار الحق أو إنصـاف المظلـوم، بل كـــانت تســـتهدف مناصـــرة المتعصب له ســـواء كـــان ظالما أو مظلوما([2]).

إن ابن خلدون يستعمل العصبية، تـارة بمعـنى الرابطة القبلية المشــار إليهــا، وثــارة بمعــنى الجماعة البدوية الــتي تجمعها هاته الرابطة نفســها([3])، إنها عنــده هي ظــاهرة خاصة بالبــدو، وموجهة أساسا لدفع العدوان الخارجي وتفعيل آليـات الـدفاع المشـترك([4])، إنها تمكن الفـرد من أن يـدوب في القبيلة عنـدما يحس بـأن هنـاك

---

[1] - الجابري، محمد عابد،فكر ابن خلدون:العصبية والدولة ؛ معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، دكتوراه الدولة في الفلسفة، دار الطليعة ، بيروت، الطبعة الأولى 1982، ص 251.

[2] - ن،م ، ص 251.

[3] - ن،م، ص 251.

[4] - جحاح، محمد، محاضرة...، م، س، ص 10.

خطر يتهدده، ذلك لأن الوعي العصبي، يشد أفراد العصبية (القبيلة) بعضـــــهم إلى بعض، ويجعل منهم كائنا واحـــــداً تختفي فيه ذوات الأفراد([1])

إن الشـعور العصـبي سـواء في حالته الكامنة أو الحـادة يعم أفراد القبيلة كلهم، وبالتساوي تقريباً، إنه ذو صبغة جمعية أساســاً، وهو في حالة التــوتر والحدة أشــبه ما يكــون بــالوعي الجمــاعي المتيقظ أو لنقل على ســـبيل التمثيل فقط أنه أشـــبه بــــالوعي الطبقي، في فترة من فترات الصـراع الطبقي الحـاد، أما في حالة كمونه فهو أشـــبه (باللاشـــعور الجمعي)، مما يعـــني أن غيابه في لحظة من اللحظات كوعي، لا يعني انمحاؤه أو فنـاؤه بـالمرة، بل إنه يمـارس مع ذلـك، بكيفية لا شـعورية، نوعـاً من التـأثير والتوجيه على الفرد في حياته اليومية وكذا في آرائه ومواقفه([2]).

إن العصبية بهذا المعنى، على حد تعبير "الجـابري" هي عبـارة عن رابطة سوسيوسيكولوجية، شعوريه ولا شـعورية في الآن ذاتـه، تربط أفـراد جماعة ما – قائمة على القرابـة- ربطا مسـتمراً يـبرز ويشـتد عنـدما يكـون هنـاك خطر يهـدد أولئك الأفـراد ، كـأفراد أو كجماعة([3]). لكن إذا كان الأمر كـذلك، فما هي المرجعية والأسـاس الذي تستمد منه العصبية قوتها ؟

كما أشرنا إلى ذلك في بداية هذا التعريف، فإن العصبية تقوم أساسا على رابطة النسب، وهذا ما أقر به "ابن خلدون" في غير ما موضع من مقدمته([4])، وهذا ما يتأكد في قوله متحدثا عن آلية دفـاع البدو عن أنفسهم : "ولا يصدق دفاعهم وديادهم إلا إذا كانوا عصبية

---

[1] - الجابري، محمد عابد، ...،م.س ، ص 254.
[2] - الجابري، محمد عابد،...، م.س. ص 254.
[3] - ن،م، ص 254.
[4] - ن،م، ص 254.

وأهل نسب واحد، لأنهم لـذلك تشـتد شـوكتهم، ويخشى جـانبهم، إذ نعــرة كل واحد منهم على نســبه وعصــبيته أهم، واعتــبر ذلك فيما حكاه القرآن عن إخوة يوسف – عليه السـلام- حين قـالوا لأبيهم: " (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون)"([1]).

لكن رغم أن "ابن خلــدون" اعتــبر أن النسب هو أســاس أية عصبية، فإن النسب عنده مجرد أمر وهمي لا حقيقة له([2])، وهذا ما يعكس أنه كــان واضــحا في هاته النقطــة، حينما نبه إلى أن حاجة البــدو إلى آلية قوية ومســتمرة للــدفاع المشــترك، هي ما يفسر تشبثهم القوي بالوحدة الدموية،، وهو تشبث إيـديولوجي بالأسـاس، فليس هنـاك في نظـره ما يضـمن أو يؤكد انتقـال دمـاء صـافية من السلف إلى الخلف، بل إن اختلاط الأنسـاب هو الظـاهرة السـائدة، وهكذا فوازع دفع العـدوان هو الـذي يفسر لجـوء البـدو إلى النسب واحتماؤهم بالجينيالوجيا كإيديولوجيا لصياغة وإعـادة صـياغة النظـام الاجتماعي وتدعيم لحمة الجماعة وتعاضدها([3]).

إن المقصود بالنسب بالنسبة لابن خلـدون هو الانتمـاء الفعلي إلى جماعة ما أي إلى عصبة معينة وبعبارة أخرى، فإن المقصـود به ليس القرابة الدموية وحـــدها، بل كل ما يكـــون باعثا للأنفة الـــتي تلحق النفس من اهتضــام حق جارها أو قريبها أو نســيبها بوجه من وجوه النسب([4]).

3-نظريات سوسـيولوجية وأنثروبولوجية حـول القبيلة :

---

[1] - ابن خلدون، عبد الرحمن أبوزيد ولي الدين،مقدمة العلامة ابن خلدون:المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، 1424 هـ/2004م. ص 132.

[2] - ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة...، م.س، ص 133.

[3] - جحاح، محمد،محاضرة... م.س، ص 11.

[4] - الجابري، محمد عابد...،م.س، ص 260.

تعد مسـألة عـرض النظريـات من أهم الخطـوات الـتي ينبغي على كل بـاحث أن يتطـرق لهـا، ذلك لأنه كلما قـام هـذا البـاحث بتفحص تلك النظريـات كلما اتضـحت له الظـاهرة المدروسة بجلاء، مما يمكنه من فهمها بعمـــــق، وقد يســــهل عليه ذلك مقاربة تلك الظاهرة في الميدان الذي يتناوله.

وإيمانا منا بهذه القاعدة، فلقد حاولنا أن نعرض في بحثنا هــذا أهم النظريات التي تناولت الظاهرة القبلية بالدراسة، بــدءاً بنظرية ابن خلدون (في القرن الرابع عشر) ومروراً بالنظرية الماركسية

والكولونيالية، ووصـولاً إلى النظرية الانقسـامية الـتي عـرفت انطلاقتها منذ بداية الحرب العالمية الثانية([1]).

1-النظرية الخلدونية (732هـ/ 1332م، 808 هـ/1406م**)**

كتب الأستاذ "مكسيم رودنسون" يصف تراث "كارل ماركس" فقال : " لقد قـال مـاركس أشـياء كثـيرة، ومن اليسـير أن نجد في تراثه ما نبرر به أية فكرة، إن هذا التراث كالكتاب المقـدس، حـتى الشيطان يستطيع أن يجد فيه ضالته". وإذا كان هذا الوصف يصـدق على تـراث "كـارل مـاركس" فهو في نظر "الجـابري" يصـدق على مقدمة "ابن خلدون"، فليس الشيطان وحـده هو الـذي يسـتطيع أن يجد فيها ما يرضيه أو يسـخطه، بل إن المـؤمن والملحد والكـاهن، والمشعوذ ، والفيلسوف والمؤرخ ورجل الاقتصاد وعالم الاجتماعي، وحتى "كارل مـاركس" نفسـه... كل أولئك يسـتطيعون أن يجـدوا في "المقدمـــة" ما به يـــبررون أي نـــوع من التأويل لأفكـــار ابن خلدون([2]).

إن قولة الجابري هاته، تدل على غـزارة وتشـعب الفكر الـذي قدمه "ابن خلدون" في "مقدمته"، إلا أن ما يهما هنا بالضبط فيما يخص هذا المفكر وفكـره الاجتمـاعي، هو ارتبـاط اسـمه بعلم جديد حقق قفـزة نوعية في مجـال المعرفة الاجتماعية في وقتـه، والأمر يتعلق هنا بعلم العمـران البشـري الـذي اعتـبره صـاحبه بمثابة علم جديد ذي قانون خاص به، وموضـوع ومنهج متمـيزان، وقد عرفه بما يلي : " وكـأن هـذا العلم مسـتقل بنفسـه، فإنه ذو موضـوع وهو العمـران البشـري والاجتمـاع الإنسـاني، وذو مسـائل وهي بيـان ما

[1] - حجاج، محمد،محاضرة... م، س، ص 25.
[2] - الجابري، محمد عابد... ،م.س، ص 6-7.

يلحقه من العوارض والأحـوال لذاته واحـدة بعد أخـرى، وهـذا شـأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا([1]).

كيف إذن نسـمي هـذا العلم ؟ من هنا الميل إلى تصـنيفه بسرعة ضمن علم الاجتمـاع أو التـاريخ أو ما عـرف بعلم العمـران. لنترك هذه القضية مفتوحة دون أن نطلق اسـما على مشـروع ابن خلدون، ودون أن نسجنه في خانة علم غريب عنـه([2]) ولنحـاول أن نشرح نظرته إلى مجتمع شمال إفريقيا الذي قام بدراسته.

يتمثل طموح ابن خلدون في سـعيه عن طريق نظرية الـزمن الـدائري إلى بنـاء نظـام اجتمـاعي باعتبـاره مجموعة دالـة، وإبـراز ترابط المنظومات الاجتماعية الصغرى، والتوتر القـائم بين مختلف المستويات، وباختصـار قصد أن يكـون جـدليا([3]). إن حركية التـاريخ عند أبن خلـدون، هي حركة دائريـة، المحـرك الأساسي فيها هو العصبية القبلية، الأكثر بروزا لـدى البـدو الأكـثر توحشـا([4])، وبعبـارة أخـرى إنه صـراع العصـبيات الـذي يلعب فيه النسب دوراً لا يجب إهماله ولا التقليل من أهميتـه، ذلك لأنه على الـرغم من أن النسب هو في الواقع رابطة جمع وتوحيـد، فهو أيضا عامل تفريـق، فكما يجمع النسب أفراد العصـبية الواحـدة، فهو يعمل أيضا على إشـاعة الفرقة والتنـافر بين الجماعـات والأفـراد الـذين لا يـربطهم نسب قـريب أو بعيـد، بل إن الالتحـام بالنسب القـريب ينتج عنه تباعد بالنسب البعيد والتعاون من أجل المصلحة المشتركة داخل العصبية الواحدة، يقابله صراع مصـالح العصـبيات... ومن ثمة كـانت الحيـاة في العمران البدوي حياة صراع دائم. وهذا هو الصراع القبلي الـذي

---

[1] - جحاح، محمد،محاضرة... م.س ، ص 7-8.

[2] - الخطيبي، عبد الكبير، النقد المزدوج، منشورات عكاض،الرباط، الطبعة الأولى1990، ص 152.

[3] - ن،م، ص 152.

[4] - جحاح، محمد... م.س، ص 10.

جعل منه ابن خلـدون محركا للتـاريخ([1]) الـذي يمشي حسـبه وفقا لســيرورة دائرية بـــدايتها القبيلة ونهايتها الدولة الـــتي بلغت قمة الحضارة، إنه عبـارة عن حركة انتقـال دؤوبة من طـور البـداوة إلى طور الحضارة، وفي عملية الانتقـال تلك تلعب الدولة دوراً أساسـيا باعتبارها أفقا لهذه الحركة، فمتى كثر العمران وزادت كثافته كـانت الحضـارة أكمل لأنها غايتـه، وفي نفس الـوقت نهايتـه، هاته النهاية التي لن تكون سوى نهاية الدولة، بحكم فسـادها النـاتج عن سـيادة قيم الترف والركون إلى الدعة الـتي هي إضـعاف لشـوكة العصـبية إلى حد التلاشـي، والنتيجة دائما هي نفســها سـقوط عصـبية قبلية وصعود عصـبية أخـرى محلهـا، بحكم أنها هي الأقـوى لأنها مـازالت تحتفظ بشروط تجدرها (البداوة، والعصبية).

هكذا حسب ابن خلدون يسـتحيل تـاريخ المجتمعـات المغاربية إلى تاريخ عصبيات ودول، الواحدة تسقط والأخرى تخلفهـا، ومحـور الصراع دائما هو البدو والحضر([2]). من هنا فالتجديد من المنظـور الخلدوني لا يمكن أن يعني سوى الانعطاف والعـودة إلى البـدء، فلا ســبيل إذن إلى الإصـــلاح وإلى اســتئناف الســير من حيث كـــان الوقوف، فالحضارة مهما وصـلت من اتسـاع وتـألق وتفنن، لا بد أن تنحط من ذروة إلى حضــيض، ومن اكتمــال واســتقرار إلى اختلال واحتضار، فالتاريخ ظهور وبطون([3]).

ولعل الحقيقة الـــتي يجب التأكيد عليها هنا هي، أن العـــدوان الذي يتحـدث عنه ابن خلـدون، والـذي يجعل منه الحـافز، والموقظ للعصـبية يسـتهدف بالدرجة الأولى شـؤون المعـاش، وذلك بشـهادة ابن خلدون نفسه، فسكان البادية منهمكون في تحصـيل الضـروري

[1] - الجابري، محمد عابد،... م.س، ص 262-263.

[2] - جحاح، محمد،... م.س، ص 9-10.

[3] - العروي، عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب: المغرب في عهد الوحدة والسطوة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.2، 2000. ص 229.

من العيش فاجتماعهم وتعاونهم في حاجياتهم ومعاشهم وعمرانهم من القـوت والكن والـدفاءة، إنما هو بالمقـدار الـذي يحفظ الحيـاة لذلك تجـدهم يختصـمون دائما على مـواطن الـرزق، بل لا يجـدون حرجاً في الاعتداء على الأموال والممتلكات.

هكـذا فالصـراع العصـبي، عند ابن خلـدون ليس صـراعاً بين الـدماء ولا راجعا إلى الاعتـداء بالأنسـاب، كما يعتقد البعض، بل هو صراع من أجل البقاء، صراع من أجل لقمة العيش([1]).

من هنا فالعصبية تقـوم في مظهرها على النسب حقيقيا كـان أو وهميا، في حين أنها في العمق تقوم على تنـازل البقـاء والكفـاح من أجل لقمة العيش في إطـار وحـدة العصـبية وتضـامن أفرادهـا. لتكون العصبية ذات صيغة اقتصادية واضـحة على الـرغم مما تتقنع به من اعتبارات معنوية ومظاهر سيكولوجية واجتماعية([2]).

في الختـام لا يسـعنا إلا أن نقـول بـأن نظرية ابن خلـدون قد نبعت في جو الـــــدول المغربية الكـــــبرى، المرابطية والموحدية والمرينية في مرحلة يطبعها التدهور والانحطاط، في وقت كان فيه سجين تطلع سياسي نحو دولة إمبراطورية وسلطة مركزية ، وهــذا ما لم يتحقق في وقته مما جعله يضـــــــــخم من واقع التجزئة و "الانقسـام" الـذي حـال دون هـذا التطلـع([3])، مما جعله يصب كامل ســـخطه على تلك الأوضـــاع، لدرجة اعتـــبر فيها أنه لم تعد في المغـرب (في عصـره) أية عصـبية، وهو بـذلك مقبل على الخـراب التام([4]).

2- المـدرسـة المـاركسيـة:

---

[1] - الجابري،... م.س، ص 263-264.
[2] - الجابري، محمد عابد،...م.س، ص 268.
[3] - حجاح، محمد،... م.س ص 2.
[4] - العروي، عبد الله ...، م.س، ص 230.

إن الحــديث عن النظرية الماركســية حــول موضــوع القبيلة بشمال إفريقيا يستدعي الإشـارة إلى أن "كـارل مـاركس" لم يكن على دراية تامة بما يحــدث في هاته المجتمعــات، ذلك لأنه لم يقم بأية دراسة ميدانية فيهــا، بل أكــثر من هــذا، لم تكن له أية كتابـات حولها ما عدى تلك الدراسة الغير التامة التي تقع في عدة صـفحات خصصها ماركس للجزائر في أواخر حياته. وهي عبارة عن مجموعة من الملاحظـات القيمة حـاول فيها أن يصف نمط الملكية العقارية القبلية – العشائرية، حيث أوضح فيها كيف أن تدهور الملكية القبلية بسبب الاحتلال التركي (للجزائر) قد أضعف النظام القبلي، دون أن يوجد – في رأيه- ظروفا لفرض الإقطاع، لأن قـوة التركـيز المـدني والعسكري في الجزائر حـالت دون اسـتيلاء وراثي على الوظـائف، ودون تحويل أصـحابها إلى ملاك كبـار للأرض شـبه المسـتقلة الـتي كانت في حوزة "الدايات"([1]).

إن المجتمع الجزائري حسب ماركس هو مجتمع أبوي أساسا، قائم على ملكية عشائرية تنمي كل إمكانية لظهـور الإقطـاع. وكـان يعــرف جيــداً أن الدولة أو المؤسســات الدينية كـانت تمتلك عــدة ممتلكــات في الجزائر قبل مجيء الاســتعمار، لكنه يلح على عــدم وجــود علاقة ميكانيكية بين نمو نظــام الإقطــاع وتــدهور النظــام القبلي، ويضيف بأن على الاستعمار الفرنسي التعجيل بإحداث هذا التـدهور عن طريق إدخـال الملكية الخاصة بكيفية واسـعة النطـاق، فإيديولوجيا – حسب ماركس- يقاوم الاستعمار كل ملكية عشــائرية لأنها شــكل يشــجع في الأذهــان الميــولات الشــيوعية. إذن حسب مـاركس، فالجماعة المسـتوطنة الاسـتعمارية هي الطبقة المحركة

[1] - الخطيبي، عبد الكبير،... م.س، ص 164.

الــتي ســتنقل الجزائر من النظــام القبلي المتــدهور إلى نظــام المجتمع الرأسمالي([1]).

لقد كــان مــاركس آنــذاك يهتم بأشــكال الملكية الجماعية للأرض، وهي ظاهرة أثارت اهتمامه من خلال ما كتبه حول الجزائر، وقد عبر عن هذا الاهتمام بقوله بأن الجزائر هي الـتي تحتفظ – بعد الهند- بأهم آثار الشكل القديم للملكية العقارية، فقد كـانت الملكية القبلية والعائلية المشتركة الشكل الأكثر شيوعاً فيها. إذن فالملكية الجماعية للأرض يعتبرها مــــاركس شــــكلا جماعيا يلاءم طبيعة المجتمع القبلي.

أما صديقه "فريدريك انجلـز"، فإنه موقفه يتحـدد من خلال ما نشـره في جريـدة (النجم الشـمالي) حـول قضـية أسر الأمـير عبد القادر الجزائري، من قبل السـلطات الاسـتعمارية الفرنسـية، حيث اعتبر أنه من حسن التوفيق أن يكون الزعيم العـربي قد اسـر، فقد كـان صـراع البــدو بلا أمــل، لأن فتح الجزائر واقعة مهمة وموائمة لتقدم الحضارة([2]).

من خلال موقف كل من "كارل ماركس" و "فريدريك انجلــز" يتضح أنهما لم يقــدما ما يكفي لفهم ما يحــدث في المجتمعــات المغربيـــة، خاصة فيما يتعلق بالقبيلـــة، واكتفيــا، فقط بتمجيد الاســتعمار الأوربي لهاته المنطقــة، تحت ذريعة تقــدم الحضــارة، متــأثرين في ذلك بالنزعة الأورومركزية المتعالية الــتي تعتــبر أن الاســتعمار يحمل الأنــوار والحضـارة للشـعوب الأخـرى المســماة (بدائية).

---

[1] - ن.م، ص 164-165.
[2] - بوطالب، محمد نجيب،... م.س، ص 37.

ومع ظهــور حركــات التحرير وانتشــار الأفكــار التحريرية في البلــــدان المســــتعمرة والمســــتعمرة، تغــــيرت تحليلات المدرسة الماركســية مع إشــارات "روز لكســمبورغ" حــول المغــرب، ثم مع تحليلات الماركسية الجديــدة، ومواقف الأحــزاب الشــيوعية الأوربية التي ربطت التحرر الوطني داخل المستعمرات بالتحرر الاجتمــاعي للطبقات العاملة في بلدان المغرب العربي([1]).

ويــــــبرز اختلاف التحليل الماركسي عن التحليل الانقســــــامي بدءاً من تحليلات "مــاركس"، وصــولا إلى تحليلات "إيف لاكوســت" من خلال تأكيدهما على وجود ارستقراطية قبلية تتكون من رؤساء القبائل والأسر الكبيرة، وتقوم على احتكار الجاه والسلطة والثــورة داخل المجموعات القبلية، فــ"لاكوســت"، يــبرز أهمية المنظومــات القبلية والعشــائرية الــتي تتســاوى في الظــاهر، ولكنها تخضع في الواقع إلى أرســـتقراطية متمـــيزة، على شـــكل تراتـــبي، وهو ما تتجاهله الانقسامية.

من هنا فالقبيلة لم تطــرح لــدى أغلب البــاحثين الماركســيين على أنها كيــان منعــزل ومفصــول عن ســياق عــام من العلاقــات الاجتماعيـــــة، كما هو الحـــــال بالنســــبة للمدرســــتين الكولونيالية والانقســامية، فباســتثناء بعض الدراســات الــتي عــزلت المفــاهيم الماركسية عن أرضيتها النظرية، والتي أبانت نتيجة لذلك عن قصور فيما يتعلق بفهم الكيان القبلي، فإن المنظور الماكروسوســيولوجي هو الذي كان سائداً([2]).

ج- **المدرســة الكولونيــاليــة :**

---

[1] - ن.م ، ص 37-38.
[2] - بوطالب، محمد نجيب...، م.س ، ص 49.

في بداية الحـديث عن المدرسة الكولونياليـة، ينبغي الإشـارة إلى أنهـا، كما يـدل اسـمها على ذلـك، هي منتـوج (علمي) ارتبط بالمرحلة الاسـتعمارية الـتي شـهدتها دول شـمال إفريقيـا، وهي عبـارة عن كتابـات متعـددة المشـارب، تـراوحت بين الايثنوغرافيا والإنثروبولوجيا والسـويولوجيا. إلا أنها رغم ارتباطها بالمرحلة الاسـتعمارية ورغم فقـدانها للمصـداقية العملية نتيجة لـذلك، ورغم أنها كما قال عنها "إدوار سعيد" :" المستشرق الباحث كـان يمشي أمـام العسـكري"([1])، إلا أنها مرحلة أساسـية يصـعب على كل من يهتم بدراسة تاريخ هاته المجتمعات أن يتجاوزها.

إن أغلب هاته الدراسـات الكولونياليـة، ركـزت – لغاية أو لأخرى- على العديد من الثنائيات، أهمها : ثنائية المخـزن في مقابل القبائـل، ثم العـرب في مقابل الـبربر، والنظـام في مقابل السـيبا، وغيرها من الثنائيات الـتي حـاولت أن تصـور المغـرب في حالة من الفوضى العارمة الـتي لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التـدخل الاسـتعمارية الآتي من الشـمال المتحضر لينشر الحضـارة في هـذه المجتمعات المسماة (بدائية) حيث تغييب الدولة والنظام، وكل ذلك يتم تحت غطـاء ما أسـموه "بالمهمة التحضـيرية" « La mission civilisatrice ».

إنه لمن الصـعب علينا أن تمسك بكل خيـوط الخطـاب الكولونيالي حول المغـرب، إلا أنه سـنحاول بـالرجوع دائما إلى تلك الثنائية العرقيـة، أن نتوصل إلى أهم الاسـتراتيجيات الـتي نهجها الباحثون الاستعماريون، والتي حاولوا من خلالها رسم صـورة قائمة لمغرب منقسم على نفسه دينيا، وسياسيا([2])، لـذلك سـوف نحـاول

---

[1] - ن.م ، ص 36.

[2] - جحاج، محمد ، الزوايا والمخزن: أو علاقة السلطة بالمخزن في المغرب الماقبل كولونيالي، الاتحاد الأسبوعي، 28 فبراير ، 6 مارس 2003 العدد 47-ص 23

مع الـــدكتور " محمد حجـــاح" أن تقسم تلك الاســـتراتيجيات إلى مرحلتين أساسيتين :

- الإستراتيجية الأولى أو الرهان على قطب البربر :

وفقا لهـــذه الإســـتراتيجية، فلقد حـــاول منظـــروا الأطروحة الكولونيالية من خلال إثـــارتهم للمســـألة العرقيـــة، إعـــادة إنتـــاج أســـطورة ما يســـمى بالعصر الرومـــاني وحضـــارته المشـــرقة ببلاد الـــــبربر، ولعل هـــــذا ما يتأكد من خلال مجموعة من الأبحـــــاث والدراسات، فلقد ركز الأثـــتروبولوجيون والانثولوجيـــون الفرنســـيون في هذا الإطار على تشـــريح بنيـــان المجتمع الـــبربري بـــالمغرب من خلال تركيزهم الشديد على عناصر اللغة، الـــدين، اللبـــاس، العـــادات والتقاليـــــد، علاوة على العناصر البيولوجية والذهنية الـــــتي تمـــــيز الإنســـان الـــبربري عن العـــربي وتجعل منه اســـتمرارا فعليا للعنصر الروماني، بل حتى على المستوى الايكولوجي توحي حيـــاة الـــبربري بـــــذلك التشـــــابه مع ابن عمه الأوربي، ناهيك عن أشـــــكال التنظيم السياسي والاجتماعي المشبع بروح الديمقراطية كما كـــان الأمر مع الأجـــداد "الرومـــان". وفـــاءا لهـــذا المنطق إذن، يتضح مـــدى هـــول الكارثة الـــتي سيتســـبب فيها دخـــول الغـــازي العـــربي إلى المغـــرب، فـــالعرب وحـــدهم المســـؤولون، بحكم طـــبيعتهم التســـلطية، من القضاء عن هذه التقاليد الديمقراطية، وإجهاض تجربة تاريخية تمتد من العصر الروماني المشـــرق، أما قـــدوم الأوربـــيين إلى المغـــرب – حسب هؤلاء الباحثين- ليس إلا لإنقاذ إخوانهم الـــبربر الطيـــبين ، من غـــزو وتســـلط العنصر العـــربي، وبالتـــالي إخـــراجهم من حالة الركـــود التي يعيشونها من جراء هذا الغزو[1].

---

[1] - ن.م ، ص 23.

باختصـار لقد حـاول المنظـرون الكولونيـاليون إجـراء وخلق ثنائية المخزن العربي والقبائل البربرية،و ذلك بهدف ضرب الوحـدة الوطنية والدينية للمغرب، من خلال تفجير اللغم الإثني، عن طريق إثارة ما يسمى بالمسألة البربريـة([1])، الـتي ستقضي في اعتقـادهم إلى استمالة القبائل البربرية لخدمة المصالح الاسـتعمارية لفرنسـا، وهـذا ما لم يتحقق لهـؤلاء، بسـبب المقاومة الباسـلة الـتي أبـدتها القبائل المغربية (البربرية والعربيـــة) الـــتي لم تنطلي عليها هاته اللعبة الاســـتعمارية([2])، مما دفع المســـتعمر إلى التفكـــير في إستراتيجية ثانية سوف تتم فيها استمالة المخزن هاته المرة.

- الإسـتراتيجية الثانية : أو الرهـان على قطب المخزن :

بعد أن فشل الفرنسـيون في اسـتقطاب القبائل البربريـة، وبعد أن أبـدت هاته الأخـيرة رفضـها للمسـتعمر الفرنسـي، حـاول الفرنسيون تغيير إستراتيجيتهم ، لينهجوا خطة جديدة سـيتحول فيها الـبربري الـذي كـان بـالأمس القـريب (طيبـاً) و (متسـامحا) في الخطاب الكولونيالي، إلى كـائن مجبـول على الشر والفوضـى، بل أكـثر من ذلـك، سـيجتهد جهابـدة الفكر الكولونيـالي في تلبيسه كل الصـفات المذمومـة، الـتي كـانت من قبل قد أطلقت على نقيضه التاريخي أي المخزن العربي ([3]).

هكذا إذن مع هاته الإسـتراتيجية ، سيصـبح ضـحية الأمس جلاد اليـوم وجلاد الأمس ضـحية اليـوم، فمن كـان في حاجة إلى حماية الفرنسـيين بـالأمس أصـبح هو نفسه مصـدر خطر وتشـويش على مغتصبيه. وسيتحول عدو الأمس إلى صديق حميم للفرنســيين تحق

---

[1] - جحاح، محمد، الزوايا والمخزن... م.س ، ص 23.
[2] - ن.م ، ص 23.
[3] - ن.م ، ص 7-13.

مساعدته. في هذا الإطار سيتم عرض الحماية الفرنسية على المخزن الذي أصبح عاجزاً لوحده على مواجهة خطر القبائل البربرية السائبة التي كانت تؤطرها –حسب هذا الطرح دائما- الزوايا التي شكلت القوة السياسية والعسكرية الأخطر على سلطة السلطان، بل هي التي كانت تشجع القبائل على العصيان، وتحول إلى عواصم لدويلات صغيرة. ولعل هذا ما يؤكد حسب الكولونياليين على أن سلطة المخزن لم تجاوز حدود السهل والمدنية، في حين ظلت قبائل الجبال في عصيان مستمر، ويتعلق الأمر بمناطق وعرة تقطنها قبائل متمردة يقودها أحيانا ولي ثائر.

إذا كان الفرنسيون إذن قد فشلوا في محاولة استدراج البربر والقبائل لصالح سيادتهم الاستعمارية، فهاهم قد نجحوا في ذلك مع المخزن، في إطار ما عرف بمعاهدة الحماية التي سيتم توقيعها معه سنة 1912، لكن سرعان ما سينكشف الوجه الحقيقي لهذا الوجود، كوجود استعماري بالأساس([1]) ليتبين أخيرا أن الهدف الذي كان يحرك الباحثين الفرنسيين هو تبرير التغلغل الاستعماري ومحاولة تمريره بأسهل الطرق.

لقد دخلت فرنسا إلى المغرب، كما لا حظنا ذلك في الإستراتيجية الثانية، مبدئيا لحماية السلطان من البربر، لكن سرعان ما جردت إدارة الحماية المخزن من كل سلطة أو حكم حقيقي ولم تترك له إلا بعض المهام السطحية.

وفي سعيها إلى استكمال هيمنتها على البلاد، ستعمل فرنسا إلى إتباع سياسة براغماتية ، يمكن تأطيرها ضمن الشعار الماكيافلي "الغاية تبرر الوسيلة" . وفي هذا السياق إذن يجب أن لا نستغرب إذا علمنا عودة الفرنسيين من جديد إلى لعب ورقة

[1] - جحاح، محمد، الزوايا والمخزن... م.س ، ص 2.

البربر أو ما يسمى بالسياسة البربرية([1])، ليصبح دور الحماية (مـرة أخرى) هو الدفاع عن الـبربري المضـطهد الـذي حافظ رغم طـول (الاستعمار الإسلامي) على أصـالته وعلى اسـتقلاله (وجـود رواسب وثنية وإحيائية، روح الديمقراطية القبلية، التمـرد على المخـزن...) ، وكان إعلان الظهير البربري في 16 ماي 1930 بمثابة إعطاء صبغة قانونية وواقعية على الأسطورة البربرية ([2]).

كما لاحظنا من خلال ما قــدمناه حــول الأطروحة الكولونيالية في علاقتها بالمجتمع المغربي عامة وبالقبائل بصفة خاصة، كان هم تلك الأبحــاث بعيــداً كل البعد عن الواقع الــذي يمــيز تلك القبائــل. فباستثناء بعض الباحثين المتمردين على الإدارة الفرنسية، فإن جل تلك الدراسـات كـان هـدفها اسـتعماريا محضـاً. إلا أنه أخـذاً بالمثل القائل " أنه من الحماقة أن نــرمي الرضــيع مع الغســيل لكونهما مســتخين" فــإن تلك الأبحــاث رغم كونها متســخة هي الأخــرى بالإيــديولوجيا الاســتعمارية، يجب التعامل معها ومحاولة دراســتها دراسة نقديــة، لأنها تشــكل حلقة أساســية من داخل الكتابــات السوسيولوجية والأنترروبولوجية التي أنجزت حول المغرب.

د- المدرسـة الانقساميـة :

في ظل الحــديث عن الأطروحة الانقســامية بــالمغرب، تجــدر الإشـارة إلى أنها عبـارة عن مجموعة من أبحـاث ودراسـات قـام بها بعض رواد البحث الأنثروبولوجي والسوسـيولوجي الأنجلو ساكسـوني حـول عـدد من قبائل المغـرب، لقد بـدأ اهتمـام هـؤلاء بهـذا البلد منذ الحرب العالمية الثانية، غير أن نشاطهم تعزز أكثر خلال السـتينات من القــرن 20، ويمكن تفسـير هـذا الاهتمـام في إطـار انشـغال جيـو-

[1] - ن.م ، ص 2.
[2] - الديالمي، عبد الصمد، ملامح تطور السوسيولوجيا في المغرب، منشور في نصوص مختارة، محمد جحاح، كلية الآداب مكناس، مسلك علم الاجتماع، 2006/2007، ص 294.

استراتيجي لبعض الدول الرأسمالية كإنجلترا والولايات المتحدة تحديدا بمنطقة الشرق الأوسط وشـمال إفريقيـا، لقد كـان الهـدف الأساسي لهم، هو مراقبة مجمل التطـورات الاجتماعية والسياسـية والاقتصـادية الـتي تشـهدها البلاد، والهـدف طبعا هو تيسـير السـبل الكفيلة بـدمج المغــرب- على غــرار بــاقي بلــدان المنطقــة- في منظومة الســوق الرأسمالية الإمبريالية([1]).

هــذا فيما يخص الســياق العــام الــذي ســاهم في بــروز هــذه الأطروحــة، أما فيما يخص جــذورها التاريخية ومنطلقاتهــا، فهنــاك من يرجعها إلى النظرية الخلدونيــة، وذلك لكونها قد ركــزت على مفهــوم النسب الــذي صــاغه ابن خلــدون في نظريته حــول العصــبية القبليــة، لدرجة يصــبح فيها ابن خلــدون أب التجزئــتين، خاصة لما يعــالج علاقة الدولة بالمجتمع([2]).

لكن فيما يخص الأســاس الاســتيمولوجي والنظــري – بــالمعنى الدقيق للمفهوم – الذي يؤسس لهذه الأطروحة، قد يعود بأصــوله إلى السوسيولوجيا الوضعية Positive خاصة مع "إيميل دوكهــايم" وما كتبه في مؤلفه " تقسيم العمل الاجتماعي" حول منطقة المجتمع القبــائلي بالجزائر([3])، حيث يصف هذا المجتمع بأنه مجتمع انقســامي قــائم على العشائر([4])، وتتمحور أطروحة "دوركهــايم" هاته حــول فكــرة أساســية مفادها أن المجتمعات تنتقل تدريجيا، عبر التطور التاريخي من أشكال "التضــامن الآلي" إلى أشــكال "التضــامن العضــوي" أي من تضــامن يؤسسه التشــابه بين العناصر المكونة للمجتمع إلى تضــامن يفرضه الاختلاف والتكامــل، اللــذان يــؤدي إليهما تقسـيم العمل الملازم للنمو الـديموغرافي، إن أشـكال " التضـامن العضـوي" هي الـتي تسـود في

[1] - جحاح محمد، محاضرة ...، م.س ،ص 24-25.
[2] - جحاح محمد، محاضرة....، م.س ، ص 1
[3] - ن.م ، ص 3
[4] - الخطيبي، عبد الكبير، النقد المزدوج...،م.س، ص 172.

أوربا المعاصرة، أما "التضامن الآلي" فهو حاضر بقوة في المجتمعـات التقليدية / القبليـــة، حيث تحضر المراقبة الاجتماعية بشـــدة، وكـــذلك يحضر الانقسام والتجزء في نفس الوقت([1]).

إلا أن "إيفـــانس بريتشـــارد "هو أول من عـــاين من خلال البحث الميـــداني أمثلة من المجتمعـــات الانقســـامية، ولقد شـــكلت قبائل " النوير" السودانية ميـدان بحثه الأول، الـذي اسـتطاع من خلاله أن يمد الأنثروبولوجيا بمنظومة نظرية متكاملـــة([2]) تلك الأنثروبولوجـــيا الـــتي تشكلت من خلال أبحاث العديد من الباحثين الأنجلوساكسونيين الـذين حاولوا بعده دراسة المجتمع المغربي، من منظور انقســـامي. فما هي إذن النتائج التي توصلوا إليها حول هذا المجتمع ؟

في هذا الإطار تأتي دراسة " ارنست كلنر" حـــول قبائل الأطلس الكبير-الأوسط- الموالية لزاوية "أحنصـال"، وقبله "دافيـدهارت" الـذي قـــام بدراسة ثلاثة قبائل هي : " أيت عطى" بـــالأطلس، "دكالـــة" بالجنوب، و "بني ورياغل"، بالريف الأوسط. وأخيرا "رايمون جـاموس " في دراسة له حول "العرض والبركة" بقبيلة " قلعية" الريفية([3]).

لقد توصل أغلب هـــؤلاء من خلال دراســـاتهم تلك إلى فكـــرة محورية مفادها أن المجتمع الانقسامي يتكـون من فئـات متداخلة فيما بينهـا، وعـبر مسـتويات التـداخل هـذه تتحـدد مختلف مكونـات النسق الانقســامي ووحداتـــه، فكل قبيلة تنقسم إلى فـــروع، وهـــذه الفـــروع تنقسم بـــدورها إلى أجـــزاء ، إلى أن نصل إلى مســـتوى الوحـــدات العائليـــة، ويبقى عامل النسب هو المهيمن من داخل هـــذا المجتمـــع، فالنظـام الاجتمـاعي والسياسي الانقسـامي، يسـتمد رمزيته وأسسه

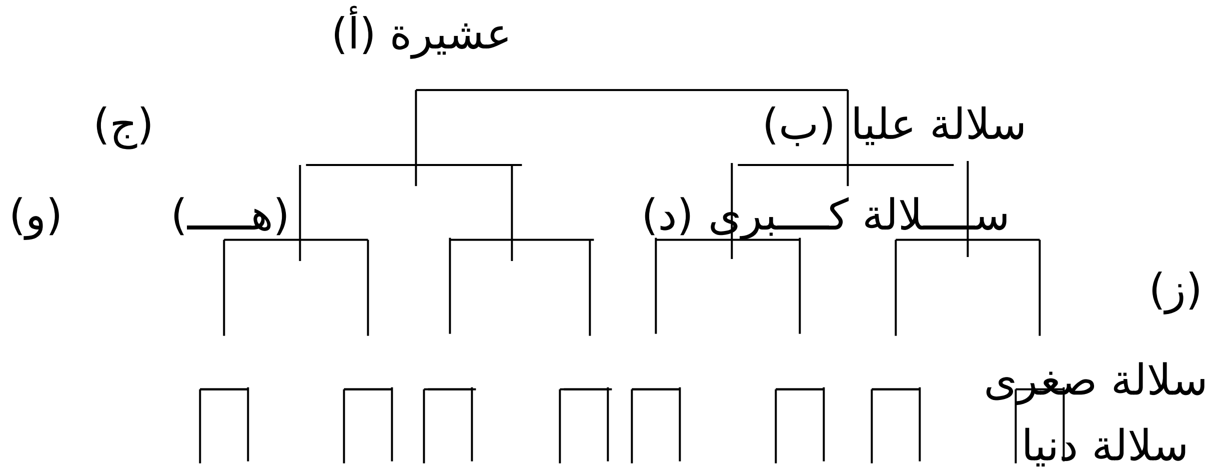
---

[1] - بنسالم، ليليا (وآخرون)، الانثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء ، ط 1. 1988، ص 11.

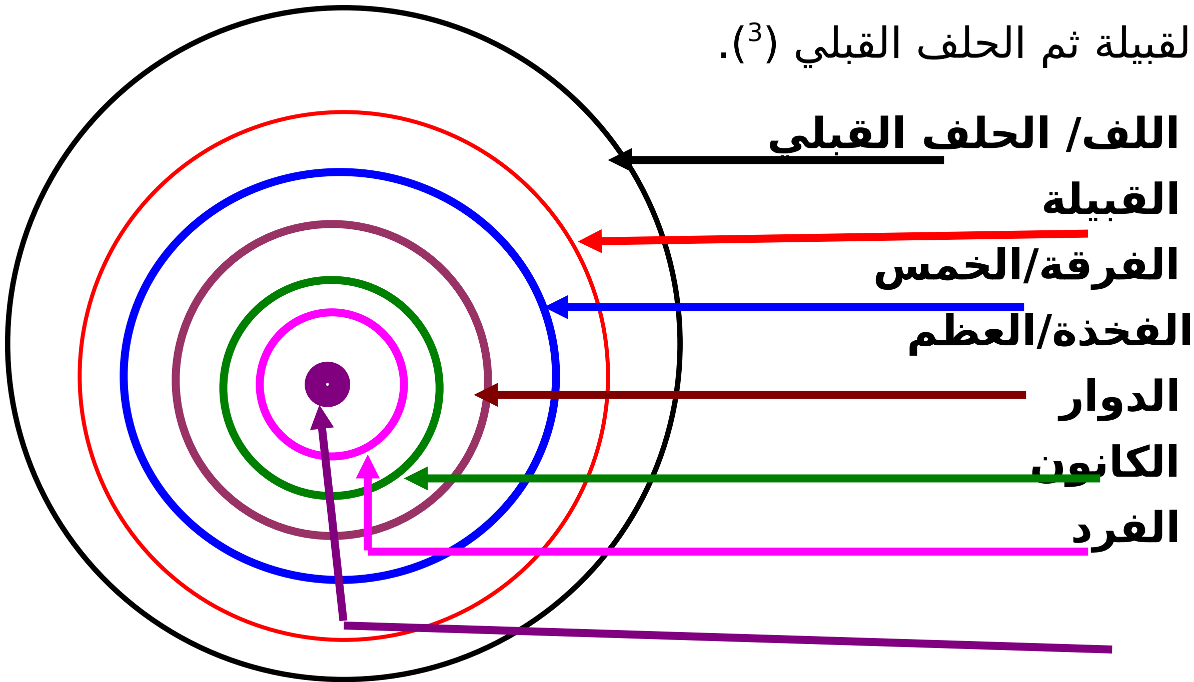
[2] - ن.م ، ص 13.

[3] - جحاح، محمد،محاضرة...، م.س، ص 25.

من " نسق القرابـــة" أو بـــالأحرى من خط "النسب الأبـــوي" « Le patrilignage » وهكذا تبدو القبيلة شبيهة ببنية الشجرة التي يمثل كل فرع من فروعها مستوى معين من الانقسـام، وتمتد هـذه الفـروع من القمة لتتفرع أكثر فـأكثر نحو القاعـدة حيث تنحـدر فـروع جديـدة، وصولا إلى أدنى مستوى في القاعدة وهذا ما تجسده الأسرة([1])، تماما كما في الخطاطة التالية ([2]):



أما إذا نظرنا إليها من وجهة نظر الفـرد، نجد هـذه البنية تحـدد على شاكلة دوائر متحدة المركز بدءا من الفـرد وانتهـاء بأوسع دائـرة هي القبيلة ثم الحلف القبلي ([3]).



[1] - ن.م ، ص 26

[2] - بنسالم، ليليا(وآخرون)....م.س ص 14.

[3] - جحاج، محمد، محاضرة ... م.س، ص 26-27

هنــاك إذن حسب الانقســاميين عملية توالد مســتمرة للفــروع، تتكامل فيما بينها عــبر سلســلة من الأجــداد، وصــولا إلى الجد الأعلى المشترك الذي تتخذ منه القبيلة أو الحلف القبلي إسما موحداً([1]). لكن يمكن أن نتساءل هنا ونقول كيف تشتغل هاته البنيات ؟

وما طبيعة العلاقــات الاجتماعية والسياســية الــتي تربط بعضــها ببعض ؟ هنا بالــذات يجد الانقســاميون ضــالتهم في المثل العــربي القائل : " أنا ضد إخــوتي، وأنا وإخــوتي ضد أبنــاء عمي، وأنا وإخــوتي وأبنــاء عمي ضد العــالم" معــبرين بــذلك عن التناقضــات الــتي تتأسس عليها العلاقات الاجتماعية والسياسية في هذه المجتمعات الانقسامية، فإذا كان الصراع وأشكال النزاع الــذي يشــهده هــذا المجتمــع، يمثل واقعا مرتبطا اشد الارتباط ببنياته، فإن ذلك لا ينفي وجــود أشــكال من التماسك والاتحــاد أيضــا، فقد تكــون هنــاك مجموعــات متعارضة داخل نفس خط النسب (Lignage)، لكن ســرعان ما تحــدد فيما بينها في حالة وجــود خصــوم من خط نسب مجــاور ([2])، فمثلا قد تتحد الفــرق المتضــــارعة فيما بينها مشـــكلة "قبيلــــة"، وذلك لمواجهة خطر أية " قبيلة" أخرى مجاورة، ثم قد تتحــالف مجموعة من القبائل المتصــارعة مشكلة "حلفا" موحداً وذلك من اجل مواجهة خطر حلف آخــر. وهكــذا دواليك.

إن القبيلة وفقا لهــذا المنظــور الانقســامي تتشــكل من "وحــدة متعارضة" تتحكم فيها أجــزاء متشــابهة، يمكن أن تتحد عند الضــرورة، كما أن هـــذه الأجـــزاء ذاتها قد تنشأ فيما بينها خلافـــات تحافظ على اســتمراريتها كي لا يضــيع بعضــها في بعض، ذلك لأن التعــارض الــذي يسيطر على حياتها المعيشية في مستوى أدنى، يمكن أن يتحــول إلى تحالف ودفاع مشترك في مستوى أعلى.

---

[1] - ن.م ، ص 27

[2] - جحاح، محمد،محاضرة... م.س، ص 28.

على هذا المنوال يتحدد السلوك الاجتماعي والسياسي في جميع مسـتويات المنظومة الاجتماعية الانقسـامية، وهو ما أسـماه "إفـانس بريتشـارد" "بنزعـتي، "الإنشـطار"، الـذي يعـني تعـارض القسـمات الاجتماعية فيما بينها، ثم "الانصـهار" الـذي يعـني تحـالف الفئـات على مستوى نفس العشيرة لمواجهة أي خطر خارجي([1]).

هـذا هو أهم ما جـاءت به النظرية الانقسـامية حـول الظـاهرة القبلية رغم ما يتخللها هي الأخـــرى، مثل ســـابقتها، من أهـــداف إيديولوجية مما يجعل من الهدف العلمي أمرا صعب التحقق، لكن هذا لا يمنعنا من الاعــــــتراف بقيمة هاته الأطروحة لما تقدمه لنا – على الأقل- من معطيات ابتنوغرافية وتاريخية دقيقة حول موضوعات ظلت إلى عهد قريب من الطابوهات التي لا يمكن للباحثين المغاربة الخوض فيها، من قبيل موضوع المؤسسة الملكية([2]).

---

[1] - بنسالم، ليليا، (وآخرون) الانثروبولوجيا ...، م.س، ص 14.
[2] - حجاح، محمد،محاضرة... م.س، ص 31.

II- **القبلية بجماعة أجلموس: مقاربـة ميدانيـة ؛**

إذا كـان التحديد المفـاهمي والنظـري مرحلة أساسـية من داخل أية دراسة سوسـيولوجية، فـإن المقاربة الميدانية للظـاهرة المدروسة هي التي تعطي لتلك الدراسة مصداقيتها العلمية، وحتى لا يخـرج بحثنا عن هذا الإطار، ارتأينا أن نقارب الظاهرة القبيلة مقارنة ميدانية.

1- البنيـات القبلـية بأجلمــوس :

تتكون الجماعة القروية "أجلمـوس" ، كما هو الشـأن بالنسـبة لأغلب الجماعات القروية بالمغرب، من وسطين اثـنين، الأول شـبه حضري يضم بعض خصائص المجـال الحضـري، والثـاني بـدوي يضم مجالا ريفيا واسع الأطراف، يتشكل من بنيات قبيلة محصورة العدد، تنتمي إلى الحلف أو التجمع القبلي المسمى "زيان".

والجدول التالي يقدم لنا تلك القبائل التي تتشكل كل واحدة منها من فروع تسمى بالأمازيغية "أسون" أو "الدوار".

إسم القبائل	أفخادها / "أسون"	عدد الساكنة
آيت معي 1	- آيت منصور - آيت خابراهيم - آيت خاعلي - آيت لكزولي - آيت إيكو أوعلي - آيت رحو	5500 نسمة

آيت معي 2	- آيت الطالب لحس - إمرداتن - إشعراوين - دوار أوتخمين - آيت عكي - آيت عيسى - آيت محمد	4800 نسمة
آيت معي 3	- آيت قسو - آيت عزوز - آيت سعيد	1900 نسمة
آيت بومزوغ	- آيت لحياني - آيت بوزمور - آيت أحمد اوعمو	1800 نسمة
إهبارن	- آيت بولمان - آيت قسو - آيت مسعود - آيت عيشة - آيت عسو - آيت موسى - إعباسين - تاعرابت - إعلاثن - إزكاغن - آيت حمو - آيت ملوك	5900 نسمة
آيت حـــــــدو وحمو	- آيت باري - آيت عزوز - آيت علي	1600 نسمة
	- الدهدوه	

دوار الباشــــا- منت	- سيدي مسعود - تابوقلمت - خنيكدفة - لمحلــة - تاوريرت - سغنانة	3400 نسمة
دوار أمهروق- منت	- لمحيجيبة - بوخلخال - عين السوق - الزاوية - لمري - تيورديوين - سيدي عثمان - حرشة - سيدي امبارك - تكيرث	2500 نسمة

جدول يعرض القبائل المتواجدة بالجماعة القروية أجلموس([1]).

[1] - إدارة الشؤون العامة، قيادة أجلموس، 08-04-2008.

CARTE D'AGUELMOUS FAISANT RESSORTIR POINTS SENSIBLES

ECH
DOUAR AMAHROQ
DOUAR EL BACHA
AIT HADOU OU HAMMOU
AIT BOUMAZZOUGH
DOUAR ELBACHA
IHABBARN
LEGENDE

خريطة توضح القبائل التي تتكون منها جماعة أجلموس

إن هذه القبائل التي هي جزء من تجمع قبلي كبير اسمه "زيـان" تتكـون كل واحـدة منها من مجموعة من الأجـزاء تسـمى " آسـون" أو الـدوار (إغص) إلا أن هنـاك حالة قد تثـير انتبـاه القـارئ، ويتعلق الأمر بـــدوار "الباشـــا- منت" ودوار امهـــروق – منت، وهما دوارين ينتميـان إلى منطقة تسـمى "منت" كـانت منذ زمن بعيد ملكـاً لعائلات إقطاعية تسمى " إمحزان"، وساكنتها الحاليين، لا ينتمون إليها تاريخيـاً، بل هم فقط عبـارة عن مهـاجرين دفعتهم ظـروف معينة إلى الاستقرار بهذه المنطقة، وأغلبهم عبارة عن مستأجرين تابعين لعائلات "إمحزان" المالكة.

2- بعض المؤشـــــــــــــرات الميدانية للقبيلة بأجلموس.

إن الغاية من مقاربتنا للميدان المدروس جـاءت كما هو الشـأن بالنســبة لكل بحث سوســيولوجي، قصد تأكيد أو ضــحد فرضــية البحث، وبالتـــــالي التوصل إلى خلاصــــــات نجيب من خلالها عن الإشكاليات المطروحة في البحث، وكما سـبق أن أشـرنا إلى ذلـك، فـإن هـدفنا هنا هو التأكد من مـدى حضـور منطق القبيلة والعصـبية القبلية من داخل السلوك الإنتخابي لساكنة أجلمـوس، وهـذا بطبيعة الحال فـرض علينا محاولة التأكد من مـدى حضـور هـذا المنطق في السـلوك الاجتمـاعي لهاته السـاكنة، وذلك ما حاولنا التأكد منه عـبر مقاربة عدة مؤشرات :

1- القبلـية والإنتماء المجـالي للسكان :

لقد تـرتب عن التقسـيم الإداري الجديد الـذي قـامت به الدولة المغربية مباشــرة بعد (الاسـتقلال)، تقسـيم المغــرب إلى منــاطق وعمالات وأقاليم ودوائر حضرية أو قروية، ليـبرز عن ذلك أحد أوجه

تدخل الدولة في تنظيم المجال القروي واستكمال إرساء المقومات الإدارية لهيمنتها([1]).

لقد أنزل هذا التقسـيم على مجتمع كـان التقسـيم الـترابي فيه مبنيا على مرجعية تقليديـة، أساسـها العصـبية القبليـة، ولأن القبيلة بـدت للمسـؤولين بعـد(الاسـتقلال) إطـارا لا يمكن أن يكـون أساسا للتقســيم الإداري، (فمن المعلــوم أن القبائل ليس لها نفس الحجم ولا نفس الـوزن على المسـتوى الـديموغرافي والاقتصـادي)، لـذلك اتخــذت الجماعة القرويـــة، كخلبة أساســية للتقســيم الإداري، باعتبارها تخضع لمحــددات سوســيو-اقتصــادية تتمحــور- كلما أمكن ذلك- على سوق يكون مركزا اقتصاديا لها.

هذا بالإضافة إلى محـدد آخر تم أخـذه بعين الاعتبـار عند القيـام بهـذا التقسـيم الجديـد، يتعلق الأمر بشـعار (الحداثـة) و (العصـرنة). فباسم (الحداثة) يجب القضاء – حسبهم- على الإطـار القبلي كإطـار تقليدي لا يتجانس مع المشروع الذي يلازم الدولة الحديثـة. بل أكـثر من ذلك يجب القضـــاء عليه لا كإطـــار فقـــط، وإنما كعقلية وكعلاقة تجمع النـــاس فيما بينهم([2]). لكن الســؤال المطــروح هنا هــو: هل تمكنت سياسة التقسيم تلك من بلوغ أهدافها، وبالتالي قضاؤها على التقسيم التقليدي القائم على عنصر الانتماء القبلي ؟

إذا عدنا إلى الميدان المدروس ***(أجلموس)*** لنحــاول من خلاله الإجابة عن هــذا السـؤال، سنسـتنتج أن الأمر ليس بتلك البســاطة الــتي نظر لها واضـعوا مخطط التقسـيم الإداري الجديـد، فمثلا عن السؤال : أين تسكن ؟ يجيب أغلب المبحوثين المنتمين إلى المجـال البـدوي على الخصـوص، بجماعة أجلمـوس بـأنهم من قبيلة " ***أيت***

---

[1] - بورقية، رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع ...،م.س، ص 119.

[2] - بورقية، رحمة، الدولة والسلطة والمج...م.س ص.119-120.

فلان" (***نكين زك أيت حـدو أوحمـو..***) بل أكـثر من ذلك فـإن بعض هؤلاء يدقق في الأمر أكثر لينسب نفسه إلى جـزء من قبيلتـه، أي إلى ما يطلق عليه بالأمازيغية اسم (***أسـون***) وهو عظم القبيلـة، وهـذا ما لاحظنـاه مثلا عند المبحـوث (رقم 9) عنـدما طرحنا عليه نفس السـؤال فأجـاب قـائلا : ***" نكين زك أيت عسو***"، و"***أيت عسو***" عبـارة عن (***أسـون***) عظم من بين اثـني عشر " ***أسـون***" تتكون منها قبيلة تسمى "***إهبارن***".

من هنا نخلص إلى القـول بـأن الانتمـاء المجـالي لسـاكنة أجلمـوس لا يتم تحديـده في أغلب الحـالات –كما لاحظنا ذلك من خلال اغلب المبحـوثين- على أسـاس الانتمـاء إلى "الجماعة القرويـة"، بل يتم على أسـاس الانتمـاء القبلي، مما يؤكد حضـور مفهـوم القبيلة بشـكل قـوي في وعي هاته السـاكنة، خصوصا المستقرين منهم بالأوساط البدوية (الهامشـية)، الشـيء الـذي يؤكد فشل الدولة في بلـوغ الهـدف الـذي وضـعت من أجله التقسـيم الإداري الجديد.

2- القبليـة والعلاقـات الاجتماعيـة:

يتحدث المبحـوث (رقم 10 :ـ 32 سـنة، فلاح، قبيلة أيت معي، مستوى إعدادي)، قـائلا : "***كنا بصدد إنجـاز طريق في اتجـاه قبيلتنا المسـماة " أيت معي" فتم منعنا من طـرف "أيت بن علي" لأن تلك الطريق تمر عبر أرضـهم***"، ويضـيف نفس المبحوث قـائلا بالأمازيغية "***حسدناخ خف أبريـد" (أي حسـدونا على الاسـتفادة من الطريق***). إن كل ما يمكن أن نستخلصه مما قاله هذا المبحوث هو أن سكان قبيلته قد حرموا من الاسـتفادة

من اسـتعمال الطريق فقط لأن " ***أيت بن علي"*** يكنـون لهم بغضا وكرها نجهل سببه، اللهم إذا تم تفسيره بالتعصب إلى القبيلة.

وفي نفس السـياق يقـول المبحـوث (رقم 11 :ـ 27 سـنة، أجلمـوس المركـز، خيـاط مسـتوى إعـدادي) "***مـازالت هنـاك عنصـرية بين القبائـل، وهـذا ما ألاحظه في السـوق الأسـبوعي، خصوصا في سـوق الماشـية، فـإذا اسـتمعت للنـاس، فإنك ستسـمع كلمـات تـدل على ذلك من قبيل " هذا من قبيلتنـا"، "هـذا ماشي ديالنـا..."*** " هـذا ما قاله هـذا المبحوث معتـبراً أن اسـتعمال هـذه العبـارات تعكس وجـود الـوعي القبلي من داخل هذا المجتمع.

فعلا هناك وعي قبلي من داخل هذا المجتمع، وقد يـؤدي أحيانا إلى صراعات متفاوتة الحـدة، لا تظهر إلا في بعض المناسـبات، وقد تبلغ درجة المواجهة بالرصـاص،تماما كما حصل في شـتاء 2006 مع بداية موسم الحـرث عنـدما قـررت قبيلة اسـمها " ***أيت خويـا"*** أن تحـرث أراضي "الجمـوع" الـتي توجد بينها وبين أرض تملكها عائلة "***إمحـزان***" المعروفة بنفوذها الواسع من داخل قبائل زيـان، لقد حـاولت هاته العائلة منع " ***أيت خويا***" من حـرث تلك الأرض، لكن هاته القبيلة أبى سكانها إلا أن يحرثوها، وهـذا ما دفع الطـرفين إلى الدخول في مواجهة قبلية، إلا أن تـدخل السـلطات المحليـة(القائـد، الـدرك الملكي..) أدى إلى وقف ذلك الصـراع الـذي كـاد أن يتحـول إلى مواجهات دامية.

من خلال كل ما سـبق ذكـره، نخلص إلى القـول بـأن الصـراع القبلي مـازال حاضـراً في وعي وثقافة سـاكنة هاته المنطقـة، ولو بنسب متفاوتة، وما يحول دون تحوله إلى ممارسة فعلية هو الخوف من السـلطات المحلية (***القايـد، الجدارميـة، المخـزن...)*** الـتي

أصبحت تفرض نفوذها على كل القبائل، مما يدفع بهاته الأخيرة إلى بدل كل المجهودات لتجنب ذلك الصراع الذي يكون مآل المشاركين فيه هو السجن، وهذا ما عبر عنه المبحوث (رقم 8 : 53 سنة، قبيلة إهبارن، عامل، غير متمدرس) عندما قال بالأمازيغية "***لنتكد أديمغور الشغل، أه أديدو كلشي غر لحبس***" وهذا ما معناه أنهم يتجنبون الصراع ، خوفا من أن تتطور الأمور، لتتحول إلى صراع بين القبائل، وبالتالي يؤخذ الكل إلى السجن. فخوفا مما يسمونه "***المخزن***" على حد تعبير أغلب المبحوثين يتم تجنب النزاعات أو حتى التدخل لحلها.ولعل هذا ما أراد المبحوث (رقم 4) ان يعبر عنه حينما قال معبراً عن علاقته بقبيلته "**هرب من دمك لا يطليك**" ثم أضاف في نفس السياق "***لقبيلة بحال العائلة خاصك، تهرب منها***".

وقد لاحظنا أيضا هذا التوتر في العلاقات بين القبائل من خلال بعض الاتهامات التي توجهها القبائل لبعضها البعض، فقبيلة "***آيت بومزوغ***"،حسب المبحوث رقم(17)،يلقب ساكنتها ب" ***نكارين الشهادة***" أي أنهم يشهدون الزور، أما " ***إمناوين***" (أي ساكنة منت) حسب نفس المبحوث فيعتبرون " ***مجرد رعاة وحراطين عند إمحزان***"، وهي اتهامات قد تكون واهية ومبنية على أحكام مسبقة إلا أن الاعتقاد فيها له دلالته وأهميته بالنسبة لنا، لأنها تعكس وجود تلك النزعة القبلية التي نحن بصدد الحديث عنها.

وعلى العموم، فإن العصبية القبلية كمنطق يحرك السلوك الاجتماعي لساكنة أجلموس، مازالت حاضرة بأشكال متفاوتة، أي تبعا لعدة متغيرات أهمها متغير المستوى الدراسي، والانتماء المجالي (أي مكان السكن) ثم متغير العمر، وهذا ما يمكن أن نوضحه في النقاط التالية :

-كلما انتقلنا من عينة متمدرسة في اتجــاه عينة غــير متمدرسة أو أقل تمدرســا، كلما ارتفعت حــدة العصــبية القبلية والعكس صحيح.

-كلما انتقلنا من العينة الســاكنة بــالمركز (الوسط الشــبه حضــري) في اتجــاه ســاكنة الوسط البــدوي (الهـوامش) كلما ارتفعت حـدة العصـبية القبليـة، والعكس صحيح.

-كلما انتقلنا من الفئة الأقل سنا في اتجاه الأكبر سـنا، كلما ارتفعت حدة العصبية القبلية والعكس صحيح.

الفصل الثالث:

الأبعاد السوسيوانثروبولوجية للسلوك السياسي/ الانتخابي للمغاربـــة

مقدمـة الفصـل الثالـث.

"لقد تعلمت النخب الـتي سـيطرت على الحيـاة الوطنية خلال العقد الأخـير، كيف تسـتخدم بمهـارة المعـدات الكلاسـيكية للأنظمة العصرية من أحزاب ونقابات (مجموعات الضغط) إلا أنها في ممارسة دورها السياسي، تتصـرف وفق قواعد جـديرة بـأن تنسب إلى التقاليد الثقافية وإلى انسجام كيان اجتماعي محدود"([1]).

هـذه الخصـائص الـتي تمـيز النخبة السياسـية المغربية أوردها الباحث الأمريكي "جـون واتربـوري" في مقدمة كتابه "الملكية والنخبة السياسية في المغرب" وذلك في نهاية الستينات من القرن الماضـي، وهي نفسها القضية الـتي نثيرها في بحثنا هـذا، الـذي تناولنا من خلالها السلوك الانتخابي، الـذي افترضـنا أنه رغم كونه مغلفا بألبسة عصـرية تدعي الحداثة وقيمهـا، فإنه لا يغـدو أن يكـون سـوى مسـرحية تحـاول إخفـاء خصـائص مجتمع ما تـزال تتحكم فيه القيم التقليدية المسـتمدة من التاريخ القـديم لهـذا المجتمـع، هي قيم تاريخية تجعل من المغاربة يتعلقـون بماضـيهم، إلا "أن ذلك التعلق يمكن أن يكـون لا إراديا وأن يتجاوز مجال وعيهم"([2]).

فسـواء تعلق الأمر بالنخبة السياسـية أو بعامة المغاربـة، فـإن الماضي لازالا يفرض نفسه بقوة في سلوكهم السياسي، خاصة عندما يتعلق الأمر بالانتخابـات كسـلوك يمكن أن يعكس الـوعي السياسي لجل الفئات الاجتماعية الـتي يتشـكل منها المجتمع المغـربي، فما هي خصائص السلوك السياسي المغربي عامة ؟ وما هي محددات وأبعـاد السـلوك الانتخـابي ؟ وأين تتجلى مظـاهر التقليد من داخل هـذا السلوك؟

---

[1] - جون واتربوري، الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة : ماجد نعمة وعبود عطية، بيروت، دار الوحدة، ط1- 1982، ص 19.
[2] - ن.م ، ص 19.

I - **السلوك السياسي للمغاربة :**

1- الانقسامية والسلوك السياسي المغربي :

تعتــبر النظرية الانقســامية من أهم النظريــات السوســيولوجية والأنتروبولوجية التي تناولت النظام السياسي المغربي، ويعتبر "**جــون واتربوري**" من أهم من درســوا المجتمع المغــربي دراسة انقســامية، حيث رأى أن " مفهــوم التعــارض بين الأجــزاء opposition entre les segments" ،الــذي طــوره "**إفــانس بريتشــارد**"، بخصــوص دراســته لقبائل النوير هي ملائمة تماما لمقاربة النظــام السياسي المغــربي([1]). وذلك لأن "معظم المغاربة كـــانوا ينتمـــون إلى وسط قبلي، واحتفظ العديد منهم بنفس التصور([2]) الذي كانوا يحملونه أثناء تواجههم بــذلك الوسط، ولذلك فإن الطابع الانقسامي الذي كــان يمــيز الوسط القبلي يضرب بجــذوره من داخل الســلوك السياسي عند المغاربــة، فــإذا أراد السياسي المغـــربي أن يحمي أطرافـــه، تحتم عليه أن يـــدخل في تحالفات أبعد ما يمكن عن التوقع.

فمن المســتحيل أن يتنبأ المــرء بحلفــاء وأعــداء الغــد، وبالتــالي ينبغي الإبقــاء على الإتصــال مع كل الجماعــات، وتجنب اتخــاذ المواقف العقائديــة، لكي لا يقع المعــني بــالأمر في العزلــة. وعند حــدوث أزمة يتجنب المغربي في البداية اتخاذ موقف ما، ويبقى بعيــداً عن الصــراع، ويكون على استعداد لتأييد الطــرف المنتصر (تماما كما حــدث) عنــدما كان الفرنسيون يراقبــون تــزنيت والســهول الســاحلية المجــاورة، بينما كانت الأودية المرتفعة بالأطلس الصغير تحت مراقبة عدوهم المتصلب "أحمد الهبــة" الــذي كــان ينــافس الســلطات على العــرش، ضــغط الفرنســيون والهبة من جهتــه، على القبائل الواقعة بين منطقتيهما كي

---

[1] - قرنفل، حسن ، النخبة السياسية والسلطة، إفريقيا الشرق، ص 50.

[2] - واتربوري، جون، الملكية والنخبة... م.س، ص:18.

تختار أحد المعسكرين، لكن في الأخير رفضت أن تتخذ قراراً واضحاً، وكانت تلقي خطبة الجمعة باسم السلطان في تـزنيت وباسم "أكليـد" (أحمد الهبة) في "كردوس" والجبل، أما في ويجان ما بين المنطقتين، فكانت تدعو في خطبتها " اللهم انصر من انتصر"([1]).

مثل هـذا السـلوك نلاحظه عنـدما انقسـمت الحركة الوطنية في سـنة1937 إلى تيـارين أحـدهما يناصر علال الفاسي والثـاني يناصر الحسن الوزاني، حيث رفضت مجموعة من الشباب الربـاطي أن تقف بجـانب هـذا الطـرف أو ذاك، وبعد ذلك في سـنة 1945 أسس هـؤلاء الشباب جمعية أطلقوا عليها اسم " أصدقاء رشيد ملين"([2]).

يسود الجمود السياسي على المسـتوى الوطـني من جـراء "لعبة الأرجوجـة" الناتجة عن العـداوة المتبادلة الموجـودة بين التكتلات والأحزاب والنقابات، وكلما مالت الكفة لصالح جزء من النخبة تتحـالف الأجزاء الأخرى لمواجهة التهديد، وهكذا فإن وضع حزب الاسـتقلال بين سنة 1956 و 1958 هو الذي دفع إلى تأسـيس الحركة الشـعبية، وتبـدو كل التشكيلات السياسية كأنها مجرد ائتلافات مضـطربة بين جماعـات يخضع تماسـكها لنـوع التـوازن الحاصل بين عناصـرها، ويوجد كل من التوتر وعناصر التـوازن سـواء داخل التشـكيلة الواحـدة أو بين مختلف التشكيلات، لـذا فمن أجل حل النزاعـات الـتي تسـببها هـذه الوضـعية، فـإن الضـرورة تفـرض التحكيم، وتجب الإشـارة إلى أن التحكيم هو وظيفة قديمة موقرة موجودة قبل عهد الحماية، حيث نجد أن الشريف أو الولي هو الذي يمارس دور الحكم على العمـوم، وهو شـخص تحيط به هالة من التقديس ويطلق عليه بعض الـبرابرة اسم "أكـرام"، وكـان هذا الأخـير يعيش منعـزلا ولا يحمل السـلاح أبـدا لأن أحكامه لا تفـرض بـالعنف، ويحكم في النزاعـات بين القبائـل، ويشـرف على القسم

[1] - واتربوري، جون، الملكية والنخبة ... م.س، ص 18.
[2] - ن.م ، ص 86.

الجماعية والانتخابية الدورية الـــتي تجـــري لتعـــيين "أمغـــار" (رئيس القبيلـــة). إن دوره كـــان ينحصر أساسا في تثـــبيت الاســـتمرارية في مجتمع تنعدم فيه استمرارية القيادة السياسية، من طرف الملك الـذي يفصل بين مختلف المنظمات([1]).

إن السياسي المغربي لا يتردد في اسـتعمال العـادات الاجتماعية التقليدية من أجل المحافظة على أتباعه وتوســيع صــفوفهم، وتعتــبر هذه الظاهرة من أهم خصائص الأسلوب السياسي المغربي، فمثلا نجد قصة تروى أن "أحرضان" – ولا شك في أنها قصة مزورة، غير أن ذلك لا يهم مادام المغاربة يؤمنون بواقعيتها، وهذا الاعتقـاد له دلالته في حد ذاته- رشح "أحرضان" نفسه أثناء انتخابات 1963 التشريعية في دائـرة خـــنيفرة معقل كنفدرالية قبائل زيـــان وعاصـــمة الأطلس المتوسط الرمزية، وكان آنذاك كاتبا عاما للحركة الشعبية ووزيراً للدفاع، فـاعتبر أن دوره السياسي هـذا سـيغطي على انتمائه إلى قبيلة أيت سـكوكو المعادية لزيان، غير أن حـزب الاسـتقلال رشح حمـادي يومسـيس وهو زياني غير معروف، فركز هـذا الأخـير حملته ضد منافسه على أسـاس الانتماء القبلي، وعندما اقترب موعد الانتخابات أدرك أحرضـان أنه في وضع محرج، فلجأ إلى وسيلة "العـار"، وهو شـكل من أشـكال الإكـراه الاجتماعي، لوضع خصمه في حالة التزام معنــوي، ويتعين على كل من تلقى العار (ذبيحة تقـدم على عتبة المـنزل) أن يسـتجيب لمن دعـاه، وكل ما كـــان يطلب أحرضـــان من بومســـيس هو أن يـــدعو أتباعه للتصويت لصالحه، لكن هذا الأخير كان يتقن دقائق لعبة العـار. فأجـاب أنه سيصوت شخصيا لصالح خصمه، أما إذا أراد أحرضان أصوات جميع الاستقلاليين، فإن عليه أن يقـدم ذبيحة على عتبة كل واحد منهم، وفي

---

[1] - واتربوري، جون، الملكية والنخبة السياسية ...، م.س، ص 86.

الاقـتراع صـوت بومسـيس، وفـاء لالـتزام العـام، لصـاح خصـمه الـذي انهزم.

تكشف هزيمة أحرضـان عن أخطـار الخـروج عن حـدود القبيلـة، وينحدر أحرضان من قبيلة "أيت عمار" الصغيرة التي تنتمي إلى قبائل "أيت سـكوكو" الواقعة بين كفـدراليتي "زيـان" و"زمـور" القرويـتين، وعلى غـرار ما أوضـحه "جـاك بيـيرك" بالنسـبة لــ"سكسـاوة"، فـإن التناقضات القديمة والنزاعات القبلية يعـود إحياؤها في أزيـاء سياسـية عصـرية. إن القبيلة (ب) سـتحمل لونا سياسـيا مغـايراً بسـبب حقـدها على القبيلة (أ) ولقد كان أحرضـان حسـبما يبـدو ضـحية إحيـاء عـداوة قديمة([1]).

إن هذه الخاصية الانقسامية - نجـدها من داخل المشـهد الحـزبي بـالمغرب، فتـاريخ الأحـزاب المغربية هو تـاريخ انقسـامات وتحالفـات وصـراعات، وما من موعد انتخـابي إلا ويعـرف المشـهد الحـزبي ولادة حزب أو أكثر، وبالضـبط من رحم أحـزاب أخـرى وبإيعـاز من السـلطة في غـالب الأحيـان، فالانشـطارية هي الـتي تـؤمن للنسق اسـتمراره وتحكمه في قواعد اللعبة. لكن مسألة الانقسام التي تداهم المؤسـات الحزبية لا تكون على أسـاس تبـاين الأهـداف والخطـوط الإيديولوجيـة، بقدر ما تكـون مشـروطة بالصـراع حـول الزعامـات والرسـاميل الـتي يحوزها هذا الحقل، وفي ذلك استلهام واضح لأسـلوب اشـتغال النسق القبلي والزاوياتي([2])، من هنا نجد نـور الـدين الـزاهي الـذي يعتـبر أن الحزب بـالمغرب ليس حـزب أطـر، فمثلا لو كـانت حسـبه كتلة العمل

---

[1] - جون واتربوري،الملكية... م.س، ص 86-87-88.

[2] - العطري، عبد الرحيم ، صناعة النخبة بالمغرب:المخزن و المال و النسب و المقدس-طرق الوصول إلى القمة، مجلة دفاتر وجهة نظر(9)، مطبعة النجاح، ط1 2006، ص 88.

الوطني حزب أطر لما عرفت ذلك الانشقاق الـذي أصـابها سـنة 1937 ولما عرفت قبل ذلك صراعات حقيقية حول الزعامة([3]).

وعلى العمــوم، فلقد حــاول حسن قرنفل أن يلخص خصــائص النخبة السياسية المغربيـة، انطلاقا مما جـاء به "جـون واتربـوري" في تطبيقه للانقسامية على النسق السياسي المغـربي، في أربع خصـائص :

1- هوية الوضــعية La nation d'identités situationnelle ومعناها أن الفــرد لا يكتسب قيمته إلا من خلال وضــعيته أو انتمائه إلى جماعة معينة، ولأن الوضـعيات تتغـير باسـتمرار، فإن الهوية تتغير هي الأخرى.

2- ينتج عما تقـدم، أن مفهـوم الصـداقة، مرتبط أيضا بالوضـعية داخل الجماعة، فنفس الشـخص يمكن أن يكـون صـديقا كما يمكن أن يكــون عــدواً وذلك حسب الظــروف الــتي تتمــيز بحركيتها المستمرة، ومن ثمة فإن مشاعر الصداقة والعداوة هي مشاعر سطحية تقوم على قاعدة توافقية.

3- نظـرا للطـابع غـير المسـتمر للوضـعيات المختلفة ولحـراك الفـاعلين، فـإن رجل السياسة يجب أن يكـون مسـتعداً لكل الاحتمالات وقادراً على التكهن بأصـدقاء وأعـداء المسـتقبل، أما أن تتم المراهنة على شــخص واحد أو جماعة واحــدة، أو حتى قضية واحدة، فهذا يعـني الخسـارة، فمن الأفضل تحديد التحالفات.

4- إن المبــادرة الحــرة أو الخطـوة الجريئـة، لابد أن تـؤدي إلى العزلة بمجــرد ما تتطــور الوضــعية، لهــذا من الأفضل عــدم

---

[3] - الزاهي، نور الدين، الزاوية والحزب : الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، مطبعة إفريقيا الشرق، بيروت، 2001- ص 27-28.

المغــامرة، وتجنب التحــالف مع المغــامرين، إن العمليــات الدفاعية هي الخطط العقلانية الوحيدة في هذا النظام([1]).

ويخلص حسن قرنفل إلى أن هاته الخصـــائص الـــتي تكلم عنها "واتربــوري" والــتي يــرى أنها تمــيز النخبة السياســية المغربيــة، ليس خاصة بها فقــط، إذ أظهــرت الدراســات حــول النخبة بصــفة عامة أن أعضــاء النخب في كل المجتمعــات، يميلــون إلى التجــانس والتشــابه بفعل تكــوينهم التعليمي، حيث يــترددون جميعا على نفس الجماعـات، والمدارس العليـا، وينتمـون إلى نفس الطبقـات، والفئـات الاجتماعيـة، ويرتادون نفس النوادي والأماكن العامة.

إن هـــذا يجرنا حسب قرنفل إلى الحـــديث عن العيب الأساسي للمقاربة الانقسامية، المرتكزة أساساً على الدراسات الأنتروبولوجيــة، والذي يكمن في نظره في إغفال البعد المقــارن للظـاهرة السياســية، فكثــير من الظــواهر السياســية والتحالفـات الـتي تحـدث عنها "جــون واتربوري" توجد أيضا في كثير من المجتمعــات الأخــرى، بل وأيضا في مجتمعات تبنت النهج الـديمقراطي منذ قــرون، إن القــول بـأن أعضـاء النخبة المغربية لا يميلـــون إلا إلى دخـــول الصـــراعات والرهانـــات المضمونة النتائج مثلا ليس سوى من قبيل تحصيل الحاصل باعتبار أن الفعل السياسي هو بشــكل من الأشــكال انــتزاع، أكــبر ما يمكن من الانتصارات بأقل ما يمكن من التكاليف([2]).

2- **السلوك السياسي لبعض النخب السياسية:**

إن الحـــديث عن النخبة السياســـية المحلية يقتضي – انســـجاما والتحولات التي تشهدها كل المجتمعــات الســاعية إلى تحـديث هياكلها السياسية- تقســيمها إلى نخب سياســية محلية تقليدية ونخب سياســية

---

[1] - قرنفل، حسن، النخبة السياسية والسلطة...،م .س ، ص 50-51.
[2] - قرنفل، حسن،النخبة السياسية...، م.س، ص:54-55.

محلية يمكن أن نسميها تجاوزاً بالجديدة، وذلك نظراً لاختلاف الشكلي الــذي يميزها مظهريا على الأقل عن ســابقتها التقليديــة. ويتكــون كلا الطــــرفين من كل الفعاليــــات المنخرطة في المنافسة السياســــية المحليـة، تلك المنافسة الـدائرة حـول السـلطان المحلي Le pouvoir local ، سواء كان الهدف منها هو غزوه أو اكتسابه أو المحافظة عليه، أو تغريره أو اقتسامه مع من يملكه أو انتزاعه منه([1]).

1-النخبة السياسية التقليدية (نموذج العين التقليدي)

إن النخبة السياسـية المحلية التقليدية تتشـكل في أكـثر الأحـوال من الأعيـان، فـالعين على العمـوم هـوة احد كبـار الملاكين المحلـيين، يهتم بالسياسية ويشتغل بها، إنه على العموم، ينتسب لقبيلة معروفــة، وينحدر في غالب الأحيان من أسـرة ذات شـأن ونفـوذ كبـيرين، بصـفة العامة بكونه "***مميس ن أوخام أكسوات***" أو "*** ولد خيمة كبيرة***" وكثيراً ما تكون أسرته من الأسر التي لعبت أدواراً مهمة على الصـعيد المحلي، ســواء في فــترة الحماية أو بعــدها، كمقاومة المســتعمر أو مواجهة المخزن أو التواطؤ والتحالف معهما، وهو في كثير من الأحيان ابن أو حفيد أحد القيــاد أو الشــيوخ أو كبــار القبائل التقليــديين. وعن وســطه الاجتمــاعي المباشر وانتمائه العــائلي، يــرث العين التقليــدي مجموعة من الصـفات والمقومـات تؤهله لأدوار الزعامة والقيـادة وقد يكون للإنتماء العائلي أحيانا وزراً يتعين التخلص من بعض تبعاته، كحالة بعض أبناء القياد الذين تعامل آبـاؤهم أو أحد أجـدادهم مع المسـتعمر. غير أنه يشكل في معظم الأحيان سببا من أسـباب الوجاهة والشـهرة، ومصدراً من مصادر المشروعية الاجتماعية، ولاسيما في الحالات التي يكون فيها الأب أو الجد أو أحد الأقـارب من الشخصـيات الـتي طبعت المجتمع المحلي.

---

[1] - أقفلي، حماني، السلوك الاجتماعي والسياسي للنخبة المحلية، مطبعة فيديربرانت، الرباط، 2002 ، ص 27

ويعتــبر العين المحلي بانتمائه العــائلي والقبلي،إذ يناديه النــاس باسم أو لقب والده أو جده، لاسيما إذا كـان ذلك اللقب يرتبط بإحـدى الوظــــائف المخزنية : "***ولد القايد فلان"، "ولد الخليفة فلان"، "ولد الباشا فلان"، "ولد الشيخ فلان***"، الخ... وكثــيراً ما يلجأ هو إلى أصـوله العائلية للتعريف بشخصه وتحديد هويتـه، والملاحظ هنا أن اللقب العائلي كثيرا ما يستعمل في المجتمع المحلي للدعاية والإشهار أثنــاء الحملات الانتخابية بالخصــوص، كما يســتعمل للتقليل من قيمة المنافس وأهميته.

والعين المحلي رجل أمي على العموم، وإن لم يكن كـذلك، فـإن نصيبه من التعليم محـدود للغايـة، ومع ذلك فهو فصـيح اللسـان، واسم التفكير، قادر على تحليل الأوضاع، ويتوفر رغم تدني مسـتواه التعليمي على إمكانيات فكرية لا يسـتهان بهـا، وتلك الإمكانـات هي الـتي تؤهله لفهم قواعد اللعبة السياســية، وإدراك الرهانــات السياســية المحليــة، وحـتى بعض الرهنـات الوطنية أحيانـا، ويتـوفر العين كـذلك على وعي متقدم نسبيا بالمقارنة مع عامة السـكان، ويمتلك العين هـذه الصـفات الفكرية من خلال الاحتكـاك المباشر داخل الأسـرة وخارجها بالأحـداث والشخصيات المحلية والوطنية.

وتتجلى المــؤهلات الخاصة الــتي يتــوفر عليها العين في أحاديثه ومناقشاته اليومية، تلك الأحاديث والمناقشـات الـتي يـولي فيها أهمية خاصة لما يصدر عنه من أقـوال وأحكـام، إدراكـاً منه لأهمية "الكلمـة" ولخطـورة دورهـا، فهو على سـبيل المثـال، لا ينـاقش في المجـالس العامة إلا المواضـيع اللائقة بمسـتواه ومركـزه، ويـرفض الخـوض في المواضـيع التافهة والمبتذلـة، ويحـرص على عـدم اسـتعمال الكلمـات السـوقية، والخـوض فيما يعـرف محليـاً "***بتقـرفيت ن إمكسـاون***" (جـدل الرعـاة). ويرتجل كلامه ارتجـالاً، الشـيء الـذي يزيد ذلك الكلام

قوة وتأثيرا، ويحرص العين كذلك على أن يكـون كلامه مختصـراً نافـذاً سليماً شكلا ومضموناً تتوفر فيه شروط ما يسـمى باللهجة المحلية بـــ " ***الكلام اليابس***" أو ***" أوال أقورار***" أي الكلام الصلب والمتين.

غـير أن المـؤهلات الفكرية للعين لا تـرقى إلى المسـتوى الـذي يؤهله لتجاز ما هو كائن، وتصور مجتمع بديل، وواقع بـديل، لـذلك كـان العين عموماً لا يحمل مشروعاً مجتمعا، ولا أفكـار اجتماعية وسياسـية متمــيزة عما هو شــائع وذائع بين العامــة، فهو لا يهتم بالإيــديولوجيات الكــبرى، ولا يعــرف النظريــات السياســية الكــبرى، ولا يشــغل باله بالهموم الفكرية التي يحملها المثقف والمناضل.

ومن صــفات العين أيضا الكــرم والشــجاعة، لأن البخل صــفة منافية للوجاهة والزعامة، وخاصة في البادية، ولهـذا نجد العين سـخيا، يكـرم الضـيف، ويعين الفقـير ويطعم عـابر السـبيل، وكرمه يصل إلى درجة الإسراف أحيانا.

وتجـــدر الإشـــارة هنا إلى أن "الطعـــام" يشـــكل أحد الأســـلحة السياســـية في المجتمعــات التقليديـــة، ويشــكل بالنســبة للسياسي التقليدي وسيلة لتحـدي الخصـوم والمنافسـين السياسـيين، وإرغـامهم على الإنفــاق إلى درجة الإفلاس، أو التخلي عن المنافســـة، وهو أيضا أداة لإظهار الغنى، فعادة الإنفاق والطعام تعتبر من العوائق الأساسـية الــتي يصــطدم بها كل من ســولت له نفسه التطلع لزعامة الريــادة، والدخول في مواجهة مفتوحة مع العين المحلي، ولهذا نلاحظ أن بعض الفعاليات (الأستاذ، المهندس...) التي تنحدر من أوساط متواضعة-أمام عجــزهم عن منافسة العين في هــذا المجــال، أي في مجــال الكــرم والإطعام- يلجئون إلى الطعن في مبـدأ أو أسـاس المنافسة نفسـها، منتقدين العادات والتقاليد الـتي تقـوم عليهـا، وتـدخل في هـذا الإطـار

الانتقـادات الموجهة لاسـتخدام "***المـال***" و "***الـزرود***" في الحملات الانتخابية.

ومن صفات رجل السياسة التقليدي أيضا الشجاعة، فقديما كـان الـذود عن القبيلة شـرطا أساسـيا من شـروط الزعامـة، وكـان العين التقليدي رجل حـرب، أما اليـوم فقد ولى عهد النزاعـات المسـلحة، و أصبح العين مطالبا بالدفاع عن قبيلته وعشـيرته وأتباعه ليس بالسـيف أو البارود، وإنما بلسانه وكرمه وماله وعلاقاته، وذلك بتوصـيل المطلب أو الشكوى سواء كان في المجالس الخاصة أو العامة أو لـدى الـدوائر الحكومية، مع تحمله ما يتطلب ذلك من مصاريف([1]).

وكان يقوم بالوساطة بين العامة والمخـزن لقضـاء بعض مصـالح القبيلة، كإطلاق سراح بعض المساجين من أبنـاء منطقتـه، ويضـمن له هذا التوسط الاستمرارية داخل القبيلة ويقوي مكانته ومركزه فيها([2]).

ومن أهم خصائص العين المحلي أيضا القدرة على اقتحام أبـواب أهم المسـؤولين الإداريين (***الجادرمية، القايـد، العامـل، الـوزير***) للـدفاع عن أتباعـه، وأهم مصـادر نفـوذه هـذا هو ما يملكه من ثـروة وعصـبية (بـالمعنى الخلـدوني للكلمـة) وعلاقـات شخصـية، فهو ينتمي عـــادة إلى إحـــدى الأسر القوية الـــتي تشـــكل رغم الانقســـامات والمنافسات والصراعات الداخلية مصـدر تأييد ومـؤازرة، كما أن العين يتزوج عادة امـرأة واحـدة وينجب مع كل واحـدة منهن أكـبر عـدد من الأولاد.

ويتوفر العين بالإضافة إلى كل ما سـبق على جيش من الأتبـاع، يتكـون من أعضـاء قبيلته ومن الفلاحين الفقـراء الـذين يعيشـون على أرضه الواسعة زيادة على الرباعة والخماسة والعمـال، والخـدام الخ...

[1] - اقفلي، حماني، السلوك الاجتماعي والسياسي للنخبة المحلية...، م.س. ص 28-29-30-31.

[2] - بورقية، رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع...، م.س، ص: 67-68.

الذين يوفر لهم الحماية، خاصة ضد تعسفات السلطة المحلية، وذلك مقابل الولاء والطاعة والمآزرة.

لا يوجد للعين عادة انتماء سياسي قار، وإن كنا نجده دائما في إحدى الأحزاب الموالية للسلطة، فماضيه السياسي حافل بتغيير الانتماءات السياسية وما يهمه من الحزب ليس هو الخط السياسي أو المبادئ أو الأفكار أو المشروع السياسي والمجتمعي الذي يتبناه هذا الحزب ويدافع عنه، بل كل ما يهمه من الأحزاب هو مدى قدرة أحدها على منحه فرصة لربط علاقات وتحالفات يقوم باستغلالها للحفاظ على امتيازاته، و تحقيق مكاسب مادية ومعنوية لنفسه وأحيانا لأتباعه، لهذا يفضل كما قلنا بعض الأحزاب الموالية للسلطة لأنها تتيح له إمكانيات التأثير على بعض مصادر القرار، لكن إذا ما لم يتمكن ذلك الحزب من تحقيق مآرب العين تخلى عنه وتبعه في ذلك زبانية من أنصاره وأتباعه، لهذا يكفي في بعض الأحيان أن يغير العين انتماءه السياسي ليحدث تحول مهم في الخريطة السياسية المحلية. وهذا يؤكد أن الناس في كلامهم اليومي لا يتحدثون عن الولاء والانتماء لأحزاب معينة، بقدر ما يتحدثون عن التبعية لأشخاص معينين : (***تابعين لفلان، مع فلان، أصحاب فلان***)، وفي هذا السياق يلاحظ أن الأحزاب التي تمكنت لحد الآن من فرض وجودها على الصعيد المحلي (خاصة بالبوادي)، هي الأحزاب التي استطاعت أن تستقطب أكثر الأعيان نفوذاً وتأثيراً، وهذا ما يؤكد فشل بعض الأحزاب اليسارية في تأكيد حضورها في بعض البوادي وذلك لتجاهلها أو رفضها للميكانزمات التي يشتغل بها العين التقليدي.

إن العين المحلي غالبا لا يتوفر على بطاقة العضوية في الحزب، ولا يتردد على مقره – إن كان لهذا الأخير مقر- إلا في حالات نادرة، ولا يقرأ جريدة الحزب، وفي بيته تتخذ القرارات الحاسمة، وحول

مائدته تحل عـــادة العديد من المشـــاكل المحليـــة، وتصـــاغ الخطط والاستراتيجيات الراميـة إلى السيطرة على الحقل السياسي المحل.

وخلاصة القـــول، إن الفاعل السياسي التقليـــدي المحلي، لعب أدواراً سياسية حاسمة وخاصة بعد الاستقلال، وطيلة سنوات الستينات والسبعينات والثمانينات، غير أن دوره أصبح يتراجع اليوم تدريجيا بفعل تلك التحـــــولات الاجتماعية والثقافية الـــــتي أصـــــبحت تعرفها تلك المجتمعات القرويـة، كتلاشي بعض القيم الأعـراف والعـادات التقليدية وانتشار التعليم، والحراك المجالي، وأصبح اليوم يواجه منافسة شديدة من طـــرف بعض الفعاليـــات السياســـية الجديـــدة وخاصة منها العين الجديد([1]).

ب- النخبة السياسية الجديدة (نموذج العين الجديد)

يحدد الباحث السوسيولوجي المغربي "**حماني أقفلي**" أهم ما يتمـــيز به العين الجديد في خصـــائص عـــدة، فبالإضـــافة إلى وزنه السياسي الخـــاص، ومكانته الاجتماعية الـــتي ترتبط بدرجة معينة من الغنى والثروة، يتمـيز بنـوع من العلاقـات الـتي تربطه ببـاقي مكونـات المجتمع المحلي وبالطابع الحديث، نسـبيا، لممارسـته السياسـية، وهو إما أحد الأعيـان التقليـديين الـذين تمكنـوا من الانـدماج في الاقتصـاد والنسق السياسي الحديث، وإما أحد الأغنياء الذين وفدو على المجتمع المحلي، واستثمروا في قطاع من قاطاعاته الاقتصادية واســتقروا فيه وأصبحوا يسعون إلى التحكم في أهم مراكز القـرار المحلية مباشـرة، أو بصفة غير مباشرة.

وفي كلتا الحالتين، فإن بروز العين الجديد في الساحة السياسية المحلية يرتبط بـالتحولات الاقتصـادية والاجتماعية الـتي عرفتها معظم

---

[1] - اقفلي، حماني، السلوك الاجتماعي والسياسي للنخبة المحلية...، م .س، ص 31-32-33.

المجتمعات المحلية([1]). إنه على العموم أنتج مع الحركية الـتي ابتـدأت مع الزمن الكولونيـالي، أوأنتجته تلك المرحلة الحاسـمة الـتي شـهدت نهاية الاستعمار وتوطيد الدولة بعد الفترة الاستعمارية([2]).

إن العين الجديد نظـرا لجـدوره وأصـوله التقليدية فـإن الطـابع القروي مازال يؤثر على عقلية سلوكه ونمط تفكيره، لذلك فهو يحترم العـادات والتقاليد المحلية – في حـدود معينة طبعـا- ويتمسك بانتمائه القبلي و الإثـني، وبـأفراد عشـيرته وقبيلته الـذين يسـتقبلهم في بيتـه، وكثيراً ما نجد لهذا النـوع من الأعيـان منطقة نفـوذ خاصة في الباديـة، تشـكل قاعدته العملية الـتي يعتمد عليها عند الاقتضـاء لتعزيز نفـوذه وتوطيد سـلطانه في المدينـة، فتلك القاعـدة يلجأ إليها كلما دعت الضرورة إلى تعبئة الأتباع، أو حشد الجمهور.

إن العين الجديد رجل غـني، يقطن المدينة أو القريـة، أساسـا، وتربطه بها مصـالح اقتصـادية واجتماعية وسياسـية، وقد يكـون من المسـاهمين في بنـاء اقتصـادها، والمسـتفيدين من توسـعها، ويرتبط بالاقتصاد الرأسمالي أكثر مما يرتبط بأنماط الإنتاج التقليديـة، ويشـغل يـداً عامله مـأجورة أكـثر مما يشـغل الرباعة والخماسـة، وله عقلية ونمط خـاص في التفكـير يختلف نسـبيا عن عقلية ونمط تفكـير العين التقليـدي، مسـتواه التعليمي مرتفع نسـبيا، وأكـثر تفتحا على العـالم الخـارجي، وأكـثر إلمامـاً بالمشـاغل الوطنيـة، ويقـرأ الجرائد بانتظـام ويتابع الأخبار الوطنية ويهتم ببعض القضايا السياسـية الكـبرى، ويطمح لمناصب سياسـية كـبرى كالبرلمـان أو رئاسة المجلس الإقليمي أو الكتابة الإقليمية لحـزب من الأحـزاب السياسـية. وهو أكـثر اسـتعدادا لقبـول التغيـير، اللهم إذا كـان ذلك التغيـير يضر بمصـلحته الماديـة.

---

[1] -ن.م، ص 33-34.

[2] - حمودي، عبد الله ، الشيخ والمريد : النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربة الحديثة، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، البيضاء ، ط 3، 2003.ص 58.

وبفضل مسـتواه التعليمي وعلاقاته الشخصـية، فإنه أكـثر قـدرة على فهم التحـولات الـتي تطـرأ على المجتمـع، وإدراك اتجـاه التطـور التـاريخي، وما يرتبط بكل ذلك من رهانـات سياسـية واجتماعيـة. وما يدفعه إلى الاهتمـام بما يجـري في السـاحة السياسـية المحلية و إلى الانخـراط في الفعل السياسي المحلي، هو صـيانة مصـالحه، وتوطيد مركزه ونفوذه، وكثيرا ما تنتدبه الطبقة الاقتصادية السائدة للدفاع عن مصالحها الطبقية.

وفي غياب عصـبية يعتمد عليها العين الجديد لضـمان ولاء طائفة من السـكان وإخلاصـهم، فإنه يلجأ عـادة، بغية ممارسة بعض التـأثير داخل المجتمع المحلي وتعزيز مكانته ونفوذه فيـه، إلى أسـاليب خاصة نذكر بعضها هنا بإيجاز :

- الانخراط في شبكة زبونية توفر له الحماية اللازمة، وتضـمن له مساندة وتأييد السـلطة المحليـة، كانخراطه في أحد الأحـزاب اليمينية الموالية للدولة.

- وقد يلجأ العين الجديد إلى الانخراط في أحد الأحـزاب التقدمية المعارضة، لاستغلال رصيده النضالي، وكسب تأييد المتعاطفين معه.

- وبما أنه لا يتوفر على ارتباطات محلية وقبلية معروفة، وبالتالي معاناته من منافسة العين التقليدي في البادية، فإن نشـاطه السياسي يـتركز أساسـاً في المدينـة، حيث تقل الارتباطـات والتضـامنات العشائرية والقبلية، ويحاول فيها استقطاب بعض الفعاليات السياسية الجديدة.

ويفضل العين الجديد في الغالب العمل في الظل، والبقاء خارج حلبة العـراك السياسـي، وأسـلوبه المفضل في خـوض المعـارك السياسية هو الاعتماد على مجموعة من النخب الوسـيطة، وحـتى في

الحـالات الـتي يرشح فيها نفسه للإنتخابـات، مثلا فإننا قلما تـراه في الأحيـاء الشـعبية، يجـول في الأزقة والـدروب ويقـوم بالدعاية لنفسـه، ويتصل اتصــالا مباشــرا بالســكان، وإنما يعتمد في ذلك على مجموعة من الوســطاء والمــأجورين. ويمكن هــذا الأســلوب العين الجديد من ضرب عدة عصافير بحجر واحد : فهو يبقى بعيدا عن شـظايا المعـارك السياســية المحليــة، ويضــمن لنفسه إمكانية الهيمنة على التنظيمـات السياسية المحلية وتوجيهها وفق ما تقتضيه مصالحه وأهدافه.

ومن جملة التنظيمــات الأخــرى الــتي يعتمد عليها العين الجديد لتوطيد سلطانه وتركيز نفوذه، نجد النقابـات والجمعيـات، أسـلوبه في الهيمنة على النقابات هو الاختراق من الـداخل بواسـطة مجموعة من الأتبـاع أو الطـامعين، أما الجمعيـات فيتخـذها كوجهة إشـهارية، يمـول أنشطتها، ويشجع الأعضـاء الناشـطين فيهـا، أهدافه المعلنة هي تنمية الثقافة وخدمة المجتمع وحل المشـاكل الاجتماعية والإنسـانية، وهدفه الباطن هو الشـهرة الشخصـية، ومراقبة الحقل الاجتمـاعي/ السياسي المحلي، واســـتقطاب أكـــبر عـــدد ممكن من الفعاليـــات الثقافية والسياسية المحلية.

وعلى خلاف العين التقليدي، فـإن العين الجديد نـادراً ما يغـير انتمـاءه الحزبي أو السياسي، لأن الولاءات الـتي يعتمد عليها ولاءات سياسـية بالأساس، ترتبط في الغالب بحـزب من الأحـزاب السياسـية([1]). وعلى لعموم فـإن بـروز هـذا النـوع من النخبة السياسـية المحلية قد سـاهم في تراجع - وبشكل بطيء – دور ونفوذ النخب السياسية التقليدية.

II- السلوك الانتخـابي :

1- مفهوم السلـوك الانتخـابي :

---

[1] - اقفلي، حماني، السلوك الاجتماعي والسياسي ...، م.س، ص 34-35-36-37-38.

إذا كانت السوسيولوجيا السياسية قد أولت أهمية كبيرة لمفهـوم السـلوك، فـإن السوسـيولوجيا العامة قد أظهـرت تحفظها تجـاه هـذا المفهـوم، وذلك لكونها كـانت تتـوفر، منذ بداية تأسـيس هـذا الحقل العلمي مع "**ماكس فيبر**"، على مفهوم آخر أكثر غنى وأكثر إجرائيـة، ويتمثل في مقولة "الفعل" على الرغم من أن هذا الأخـير أقل تحديـداً من مفهوم السلوك، إلا أنه أكثر شـمولية منـه، والاسـتعمالات النظرية لمقولة الفعل الاجتماعي تجعل من السـلوك جـزءاً أساسـيا من الفعل لكـون هـذا الأخـير هو " نشـاط إنسـاني يتشـكل تبعـاً لمنظومة من السـلوكات المسـتلهمة من محفـزات معينة وموجهة لتحقيق أهـداف معينة، وهذا النشاط يمكن أن يكـون ناتجا عن فـرد أو مجموعة أو عن كلية النظام الاجتماعي"، إلا أن الإشكال الأساسي هنا هو مـتى يتحـول هذا السلوك الاجتماعي إلى سلوك سياسي ؟([1]).

في هذا الإطـار نجد "***إيفانس بريتشـارد***" الـذي شق الطريق بإظهـاره إمكانية وجـود فوضى منظمة (فوضى النـويريين)، وأبـرز السياسي في قلب المجتمعات (المسـماة بدائيـة)([2])، هـذا، بالإضـافة إلى "**دانييل لويس شيلر**" الذي يـرى أن السـلوك السياسي يتضـمن بالأسـاس مختلف أشـكال السـلوكات الاجتماعيـة، كما أن السياسي يبقى حاضـرا في كل ما هو اجتمـاعي. وفي نفس المنحى، تذهب "مادلين غـرافيتش" الـتي تـرى أن كل ما هو اجتمـاعي هو قابل لأن يصبح سياسي"([3]).

ولتفسير السلوك الانتخابي نجد العديد من الاتجاهات التي قامت بذلك، فهنـاك مثلا "**الاتجـاه البنـائي**"، الـذي يركز على تأمل العلاقة

---

[1] - محمد، كودي، التمايز يمين/ يسار : أية حمولة سوسيولوجية ؟ الحوار المتمدن – العدد 1309- 2005/9/6 http://www.chiwar.org...))

[2] - بلانديه ،جورج، الأنثروبولوجيا السياسية، ، ترجمة: جورج أبي صالح، بيروت، مركز الانماء القومي، ط1 1986، ص 8.

[3] - محمد، كودي،التمايز... م.س.

بين البنــاء الفــردي والبنــاء الاجتمــاعي، ويضع الصــوت الانتخــابي في سياقه الاجتماعي، ويحـاول أن يكشف عن تـأثير بعض المتغـيرات على التصويت، كالطبقة الاجتماعية، اللغة القوميـة، الـدين، الفـروق الريفية والحضرية والقبلية([1]).

وهنـاك أيضا نظرية "**الاختيـار العقلاني**" لكل من "**بيـدج**" و "**فــــارلي**"، الـــتي تفـــترض وجـــود ســـوق سياسي في الأنظمة الديموقراطيــــة، وتركز تحليلاتها على وجـــــود دالة للعـــــرض تمثل السياسـات العامة المتبعة أو المقـترح إحـداثها، وتلتقي هـذه الدالة مع دالة الطلب التي تحدد أفضليات النـاخبين، والنتـائج الـتي تحصل عليها الأحزاب السياسية تمثل نقطة الالتقـاء بين الـدالتين، إن هـذه المقاربة في الحقيقة مســـتمدة أصلا من الطروحـــات الـــتي حـــاولت مقاربة الســـلوك الانتخـــابي انطلاقا من مفهـــوم الســـوق، كمقاربة كل من "**مــاكس فيــبر" و "شــومبيتر**" الـتي تضـاهي وتماثل بين آليـات اشتغال الأحزاب السياسية والمقاولات الاقتصادية، وفي نفس السـياق نجد "انتوني داونر" الـذي كـان أول من أثـار مفهـوم النـاخب العقلاني/ الاســـتراتيجي، حيث يـــرى أنه أثنـــاء الانتخابـــات يقـــدم المرشـــحون المتنافســون بــرامج ويصــيغون وعــوداً تكــون بمثابة عــرض لخــيرات (تحقيق ضريبي، تدابير اجتماعية أو سياسية...)، ويســعى النـاخب لكي يرفع " فائدته" إلى الحد الأقصى، بمعنى أن يكـون صـوته مقابل تـأثير أمثل على الشروط الملموسة لوجوده، وتتطلب هـذه العملية مجموعة من الشروط، أولها: تعرف الفرد على مصــالحه، وقدرته على تصـنيفها في ســـلم الافضـــليات، وثانيهـــا: اطلاعه على الحصـــيلة الاقتصـــادية والاجتماعية للممثلين السياسيين المزاولين للحكم، بالإضافة إلى وجود

---

[1] - بن شعيب، عمر، السلوك الانتخابي عوامل ومحددات، منشور على الانترنيت، الأربعاء 26 أيلول 2007 http://khaled-.nd.. maktoblog.com/541228/ ..))

المرشــحين المعارضــين([1]). وهــذه الشــروط يصــعب تحققها في كل المجتمعـات وخاصة المجتمعـات الـتي تعـرف نسـبة كبـيرة من الأمية كـالمجتمع المغـربي. فهـذه العملية تفـترض أساسا وجـود مواطـنين مهتمين بجزئيـات الحقل السياسي ومطلعين على تفاصـيله. بالإضـافة إلى أن الحملة والشعارات أو الوعـود الـتي يوجهها المرشح قد تكـون غامضة وغير مفهومـة، الأمر الـذي يجعل النـاخب البسـيط عـاجزا عن تحديد اختياراته بشكل عقلاني.

وفي هـذا الإطـار يـرى البـاحث السوسـيولوجي المغـربي " **عبد الرحيم العطري**" أن التصويت كسلوك انتخابي لا ينبني في المغرب على معطيـــات عملية ورؤى تقييمية للـــبرامج الحزبية المطروحة في حلبة الصراع، بل يتبلور وفقا لمعايير العقل الجمعي وبصـمات التنشـئة الاجتماعيــة، واعتــبر أنه مــادامت قيم القبيلة والعــار والبركة وعبــادة الأولياء تبصم المسار التنشئوي الاجتماعي، فإن هذه القيم تلعب دوراً حاسما في هـذا السـلوك، وبـذلك فالتصـويت لا يكـون على المؤسسة الحزبية ولا على برامجها واختياراتها الإيديولوجيـــة، بل يكـــون أساسا على الأشخاص، واتصالا بقوة بالعصـبية القبلية والانتمـاء الاثنـوغرافي، فضلا عن***" العار***" و"***مشاركة الطعام***"، وما إلى ذلك من الإغـراءات المادية – كشراء الأصوات، التي تنتعش في مجتمع الفقر والفاقة([2]).

وعلى العمــوم فلقد تعــددت التوجهــات النظرية الــتي تنــاولت السلوك الانتخـابي، لـذلك اكتفينا بما قـدمناه إيمانا منا بأنه يقـدم رؤية أكـثر وضـوحاً في هـذا الصـدد، خصوصا عنـدما يتعلق الأمر بالسـلوك الانتخــاب بــالمغرب.فما هي إذن طبيعة الســلوك الإنتخــابي لســاكنة "**أجلموس**"؟

---

[1] - محمد كودي، التمايز..، م.س.
[2] - العطري، عبد الرحيم، صناعة النخبة...،م.س، ص 82-83.

2- السلـوك الانتخابـي، مقاربـة ميدانيـة :

أ- **موقف الساكنة من الإنتخابات ؟**

جاء على لسان المبحوثة (رقم 11، 23 سـنة، مسـتوى إعـدادي، معطلة، أجلمـوس المركـز) "***الانتخابات بـالمغرب كلها خـواض***" ويضيف مبحوث آخر (رقم 9، 50 سنة، غير متمـدرس، فلاح من قبيلة ***اهبـارن***) قـائلا في نفس السـياق بالأمازيغية "***إلا غـاس لخـواض كالمغرب***".

إن ما يمكن أن نلاحظه في خطـاب هـؤلاء هو تكـرار لفظة ذات دلالة عميقة هي "***لخواض***" بل لقد اسـتعملها أغلب المبحـوثين، وهي كلمة تعكس ذلك التصور السلبي الذي تشكل لدى ساكنة **أجلمـوس** حـول العملية الانتخابية المغربية ككـل، وبطبيعة الحـال فتكـرار تلك الكلمة لعدة مرات له دلالته، تلك الدلالة التي يمكن حصرها إجمالا في فقدانهم الثقة في المنتخبين، وكذا في العملية الانتخابية بصفة عامـة، إن لم نقل أنها تعكس غضـــــبهم وتـــــدمرهم من كل ما له علاقة بالممارسة السياسـية، لكـون هاته الأخـيرة في نظـرهم بـدون جـدوى وبلا أية فائدة.

ولعل هـذا ما أراد أن يعـبر عنه المبحـوث (رقم 16، 26 سـنة، مسـتوى ثـانوي، عامل من أجلمـوس المركـز) حين قـال "***مـاذا سـأنتظر من شـخص ينفق الكثـير من المـال على العملية الانتخابية، كنت أصوت سابقا، أما الآن فقـاطعت***" ويضـيف "***ما كاينش ليغادي اخدم المصـلحة ديـال البلاد، أنا ما نبغيش شيواحد اربح على ظهري***".

ويـرجح المبحـوث (رقم 20، 34 سـنة، مسـتوى جـامعي، معلم، أجلمـوس المركـز) سـبب الأزمة الـتي أنتجت لنا كل هاته المواقف

المتشـــائمة من العملية السياســـية بـــالمغرب، أن "***الانتخابـــات بـالمغرب هي انتخابـات تـأتي في سـياق محاولة إظهـار أن المغرب دولة ديمقراطية، لا اقل ولا أكثر، هـذا في الـوقت الذي تغيب فيه هاته العملية بشكلها الصحيح".***

إن هاته المواقف المستاءة التي عمت أغلب المبحوثين، تعكس بجلاء، تنـامي نسـبة الشك في مصـداقية العمل السياسي والانتخـابي على الخصـوص، ومن ثمة لا جدوائية المشـاركة فيـه. ولعل هـذا ما يــبرر انخفــاض نســبة مشــاركة المغاربة في الانتخابــات التشــريعية السالفة ***(شتنبر 2007).***

إن هذا الاستياء من كل ما له علاقة بما هو سياســي، هو ما دفع أحد المبحوثين إلى القول بأنه يرغب في تغيير جنسيته المغربية كتعبير على عدم رضاه على ما يجري في هذا الوطن الجريح.

ب- السلـوك الانتخابـي بين السياسـي والقبلـي :

تعتبر الباحثة السوسيولوجية "**رحمة بورقية**" أن القبيلة كانت دائما (حـتى في مرحلة ما قبل الاسـتعمار) موضـوع مسـاومة، عنـدما كانت تستعمل كإستراتيجية إيديولوجية لمواجهة الآخر (الخارجي)، إلا أن التحـول الـذي حصل – تضـيف الباحثـة- هو تحـول مس طبيعة تلك الإســتراتيجية، فكما لاحظنا مع النظرية الانقســامية أن القبيلة بمعــنى التلاحم والتضامن هي إيديولوجيا أو إستراتيجية، ولكن الإيديولوجية هنا هي الاعتقــاد الــوهمي أو الفعلي في الأصل المشــترك لضــمان تلاحم الجماعة، حيث تشهر فكرة الجد المشترك لضمان استمرارية الوحدة القبلية ضد انفجار التناقضـات الـتي تتخللها من الداخــل، وضد كل مـا يتهددها من الخارج.

لكن تلك الإيــديولوجيا القبلية اليــوم، أصــبحت تتبلــور من داخل حقل الصــراع والتنــافس من أجل الســلطة أو التقــرب منهــا، من هنا تركيز النخبة المحلية على انتمائها القبلي، وبالتــالي توظيفها للعلاقــات القبلية والقرابيـــة، الــتي تتــأرجح غالبا في اللحظــات الحاســمة في التنافس حـول السـلطة، والـتي تكـون الانتخابـات الإطـار الملائم لهـا، حيث يساهم إشـهار الإيـديولوجيا القبلية في توسـيع القاعـدة الزبونية لعناصر النخبـــة، لإظهارها كعناصر لها القـــدرة على تحريك الطاقـــات الاجتماعية القبلية كقـــوة تـــراهن بها وتـــدعم مركزها داخل الصـــراع السياســـي. وليس من الصـــدفة إذن أن يصل تجنيد الطاقـــات القبلية أوجه وقت الانتخابـــات، للتركـــيز على العلاقـــات القبلية الـــتي تربط المرشح بالمنطقة كإسـتراتيجية تضـعف حظـوظ المرشـحين الـذين لا ينتمون إلى نفس المنطقة أو الذين غادروها مبكرا.

إن تركــيز المرشح على العلاقــات الــتي تربطه بــالأفراد الــذين ينتمـون إلى المنطقة الـتي ينتمي إليهـا، وما يواكبها من حماية محتملة قد يتبناها تجــاه هــؤلاء الأفــراد، تــوفر حظوظه للفــوز في الانتخابــات، وبالتــالي الوصــول إلى الســلطة السياســية، من هنا فلا حاجة له في اللجــوء إلى الــدفاع عن برنــامج سياسي أو مشــروع اجتمــاعي واضع المعالم.

إننا بالفعل عندما نلاحظ الشكل الذي تأخذه الممارسة السياسية (***الممارسة الانتخابية على الخصــوص***) على المســتوى المحلي، نستخلص أنها تتم في غالب الأحيان عبر العلاقات القرابية والشخصية، بل تصـــبح العلاقـــات القبلية عنصـــرا يـــراهن به في خضم الصـــراع والتنافس حول السلطة، لتتحول بالتالي العلاقـات القبلية إلى علاقـات

زبونيـــة([1]). تمكن من بلـــوغ الهـــدف السياسي المتمثل في ممارسة السلطة السياسية على المستوى المحلي والوطني.

ولعل هــــذا ما توصـــلنا إليه من خلال مقاربتنا الميدانية لمجتمع "***أجلمـوس***"، حيث وجـدنا أن أغلب المبحـوثين، وخصوصا البـدويون منهم، يتخـــذون العلاقـــات الـــتي تـــربطهم "***بولد القبيلة***" أو***" ولد العائلة***" معياراً للمشاركة في الانتخابات.

وهذا ما عبر عنه المبحوث (رقم 4، 41 سـنة، مسـتوى باكلوريـا، عامل من دوار الباشا – منت) عندما قال عن أحد المرشــحين ينتمي إلى قبيلته ***" هــذاك خونا من قبيلتنــا، النــاس ديــال القبيلة كاملين مغاديش إخليوه ، واخا ما تايخدمش المصلحة ديــال البلاد***"، وأضـاف نفس المبحـوث قـائلا : " ***أنا صـوتت على واحد لأنه من القبيلة ديالي أوكايدير لخير فالناس".***

ويضيف مبحوث آخر " ***القبيلة ليما فيهاش ليترشح، بحال الدار ليمافيهاش مول الدار***". وهذا ما يدل على أن القبيلة كــانت وما تزال محدداً رئيسيا للسلوك السياسي من داخل هذا المجتمـع. بل أكثر من ذلك فإن القبيلة – كما ورد على لسان المبحوث الأخير- الـتي لا يترشح أحد رجالها للانتخابات، فإن ذلك ينقص من قيمتها لتصبح من دون قيادة ولا مكانة أمام القبائل الأخرى، وربما لهـذا السـبب تلجأ كل قبلية من قبائل المنطقة إلى دفع أحد الشخصيات البارزة فيها لترشيح نفسه، تماما كما حصل مع قبيلة "إهبارن" التي صـرح جل المبحـوثين المنتمين إليها بــأنهم هم من دفع بأحد شخصـياتها البـارزة إلى الترشح في الانتخابات التشريعية (شتنبر 2007) لكي يصوتوا لصالحه.

إن هاته النزعة القبلية الـــتي تحضر بقـــوة من داخل الســـلوك الانتخابي ، تزداد حدتها أكثر عنـدما يتقـدم شخصـان ينتميـان إلى قبيلة

[1] - بورقية، رحمة، ، الدولة والسلطة، والمجتمع ...م.س، ص 163-164-165.

واحدة للترشح في الانتخابات، مما قد يؤدي إلى خلق انشقاقات من داخل نفس القبيلة، وبالتالي قد يتحول ذلك الانشقاق إلى عداوة تؤثر على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أعضاء ومكونات تلك القبيلة، مما قد يترتب عنه رسوب المرشحين معا في الانتخابات، كما صرح بذلك المبحوث (رقم 9 : 50 سنة، غير متمدرس، فلاح من قبيلة "***إهبارن***") الذي قال ***" إذا اختلفنا فيما بيننا، وقدمنا مرشحان للمشاركة في الانتخابات فإنهما (غادي اهرسو بعضيتهوم)".***

أما فيما يخص العلاقة مع القبائل الأخرى فيقول نفس المبحوث بالأمازيغية " ***ويس تورزون أدنجح وينسن، أوغاتصواتن خف وين تقبيل ضنين***"، وهذا ما يعني أنه على أفراد القبيلة أن يصوتوا بكاملهم لصالح مرشحهم حتى يتمكن من النجاح في الانتخابات، أما في حالة إذا لم ينجح مرشحهم هذا، فإنهم سيصبحون حسب نفس المبحوث، أضحوكة لدى القبائل الأخرى، وهذا ما عبر عنه بنفس اللغة " ***أني ثاتصا غر ثقبيل ضنين***".

إن حضور النزعة القبلية في هذا المجتمع يظهر بجلاء أثناء الحملات الانتخابية، ***وهذا ما لاحظناه أثناء الحملة التي قادها مرشحان ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين، حيث كان كل منهما يقود حملته في الشوارع والأزقة مرفوقا بجيش يضم عدد كبيرا من أبناء قبيلته، لكن التقاء المسيرتين في الشارع أدخل الطرفان في صراع، استعمل فيه السب والشتم وتبادل الاتهامات، و قد بلغ ذلك درجة التراشق بالحجارة، وكادت الأمور تطور إلى صراع قبلي لولا تدخل رجال الدرك الذين قاموا بتفريق المتصارعين.***

كل هاته المؤشــرات تجعلنا نضع آلاف علامــات الاســتفهام على الأجواء التي تجري فيها العملية الانتخابية، الـتي تم نسـبها زوراً وبهتانا إلى ما يســمى (بالســلوك السياسي الحــداثي)، فــأغلب ســاكنة هاته المنطقة لم يعرفـــوا بعد الـــدور الـــذي جـــاءت من أجله العملية الانتخابية، بل أكثر من ذلـك، فـإن ما يسـمونه بـالأحزاب السياسـية، لا تزور المنطقة إلا بشكل احتفـالي، وذلك بغـرض قضـاء مآربها الـتي لا تنفصل عن الأهـداف الشخصـية لزعمائها وشـيوخها الـذين لا يـتركون مقاعدهم الوثيرة إلا بفضل ديمقراطية عزرائيل على حد تعبير البـاحث السوسيولوجي " عبد الرحيم العطري".

من هنا يمكن أن نقول مع الباحث "عبد السـلام حيمـر" أن تلك الأحــزاب مجــرد (***بوتيكــات)*** "*Boutiques*" يقصـدها بعض الأشـخاص لمجرد قضاء مصالحهم الخاصـة، كالحصـول على التزكيـات الانتخابيـة، التي بدونها لن تصبح طريق انـدراجهم في سـلك "الأعيـان" المحلـيين والمركزيين سالكة([1]).

نجد هـذا الـوعي بالخلل الـذي تعرفه بعض الأحــزاب السياسـية المغربية، لدى فئة قليلة من المبحوثين، فمثلا نجد المبحوث (رقم 10) قد عـبر عن هـذا الوضع قـائلا :" ***هناك شـرخ كبـير بين الهيئـات السياسـية الـتي تمثل المواطـنين وبين المواطـنين، أي أن هناك اختلال في العلاقة بين توجهات المواطنين وتوجهات الأحزاب السياسية***"، ويضيف هـذا المبحـوث مسـتعملا لهجة تعكس عدم رضاه على هذا الوضع قائلا: " ***المواطن تايشـرق والأحـزاب السياسية كاتغرب***". وعن أسـباب هـذا الوضع رفض المبحـوث أن يتحــدث، معتــبرا أن الحــديث في هاته الأمــور ***مــازال يعتــبر من***

[1] - حيمر، عبد السلام، الإصلاح، الموت، والحقيقة : (دراسة سوسيولوجية لبعض قضايا المغرب المعاصر)،جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث (12) 2003، ص : 108.

الطابوهـات"Tabous" " الـتي لا يمكن تناولها أو مناقشـتها بحرية، لأن ذلك قد يـؤدي إلى مشـاكل لا تحمد عقباها وهـذا ما لاحظناه لدى أغلب المبحـوثين خاصـة من ينعمـون منهم بمسـتوى دراسي لا بأس بـه.

إن الأحــزاب السياســية تــراهن - في منطقة أجلمــوس- على القبيلة باعتبارها الأداة الأمثل – إلى جانب أدوات أخـرى- الـتي تمكن الحــــزب من الحصــــول على مقعد في المجلس الجمــــاعي أو في البرلمان، ولعل هذا ما يفسر كون أغلب البرلمـانيين ورؤسـاء الجماعة الذين تعاقبوا على تمثيل المنطقـة، هم في غـالب الأحيـان عبـارة عن أعيان وزعماء قبائل لهم مكانة اجتماعية هامة من داخل المنطقة.

وهذا ما اعترف به أحد أعضاء المجلس القــروي قـائلا : " ***إنني لــولا'فـــلان'*** - ويقصد هنا أحد الأعيــان البــارزين في المنطقة ***- لما حصــــلت على مقعد عضو في المجلس القــــروي، لأن ذلك الشـخص لديه قاعـدة من الأصـوات خصوصـاً داخل قبيلتـه، وحـــتى الحـــزب يعطيه التزكية بنـــاء على مكانته هاتـــه، فــالأحزاب تبحث عن أعيــان ذووا النفــوذ والمــال واتبــاع لأنهم تكون لهم قاعدة من الأصوات بالمنطقة".***

كل هـذا يـدفعنا إلى طـرح أسـئلة عديـدة، من قبيـل، **ما محل التوجهــات والإيديولوجية السياســـية من كل هـــذا ؟ وما موقف ساكنة أجلمـوس من الـبرامج السياسـية للأحـزاب ؟ وماذا تعرف هاته الساكنة عن ذلك؟**

في إطــار الإجابة عن هاته الأســئلة توصــلنا إلى الخلاصة التالية والـتي مفادها أن أغلب المبحـوثين لا يعرفـون أي شـيء عن الأحـزاب الـتي يصـوتون لصــالح ممثليهــا، وفي أحسن الأحــوال، فـإن بعضـهم

يكتفون بمعرفة اسم الحزب أو بعض المعلومات الـتي تكـون خاطئة في أغلب الأحيان، لكنهم يؤكدون أن الحزب كبرنامج وكتوجه سياسي لا يهمهم، وكل ما يهمهم هو الشخص الـذي سيصـوتون لصـالحه. وفي هذا الإطار يقول المبحوث (رقم 7، 27 سنة، مستوى جـامعي، معطل من دوار الباشا منت) " ***ولد البلاد إلى كان مزيان غادي نصـوت عليه بغض النظر عن انتمائه الحـزبي***"، ويؤكد نفس المبحـوث بأنه لم يكن يعرف شيئا عن الحـزب الـذي كـان يقـوم لوكيله بالدعاية الانتخابية، ويرجح مبحوث آخر (رقم 4، 41 سنة، مستوى ثانوي، عامل من دوار الباشا- منت) سبب إهماله للحـزب ولتوجهاته قـائلا : " ***أنا لا أختـار الحـزب لأنه بـدون أوراق***" ويضـيف " ***بالنسـبة لي أنا أصـوت على الشـخص، لأن الأحـزاب متشـابهة، ما غـاديش نربحوا والو من الحزب***". فالأحزاب حسـبه متشـابهة رغم تعـددها، فهي على حد تعبير مبحوث آخر، عبارة عن ***"حزب واحد، قـرق هو يفرخ"*** وبالتالي ما جدوى أخذها بعين الاعتبار في الانتخابات إذا كـانت كـذلك، ولعل تلك العبـارة تلخص الانقسـامات الـتي شـهدتها الأحـزاب المغربة منذ بداية ظهورها إلى يومنا هذا.

هي تصريحات وأخرى عددية تؤكد لنا مدى عدم إيلاء الناخبين أي اهتمام للأحزاب ولتوجهاتها السياسية والإيديولوجية، وكل ما يهم هؤلاء هو الشـخص في حد ذاتـه، دون أخـذهم بعين الاعتبـار انتمائه للحـزب ولتوجيهاته السياسـية، وهــذا ما يتضح بجلاء أثنــاء الحملات الانتخابية (**سواء تعلق الأمر بالانتخابـات الجماعية أو التشـريعية**) حيث يركز المرشحون في خطاباتهم على الحديث حول اهتمامـات السـكان دون ربطها بالتوجيهـات الكـبرى للحـزب. ليكـون الحـزب وفقا لهـذا " ***مجـرد مظلة يسـتظل بها المرشح من أجل قضـاء أغراضه***

الشخصـــية" على حد تعبـــير أحد أعضـــاء المجلس القـــروي بجماعة أجلموس.

خلاصـة القـول ...

والآن، مــاذا يســعنا أن نقــول بعد ان اجتهــدنا في خــوض هاته المغامرة التي لا تخلو من وصعوبات ومعيقات، خصوصا إذا تعلق الأمر بطالب مبتدئ يحاول تقليد الخبراء الباحثين في العلوم الاجتماعية، هل استطعنا ان نقدم إجابة حقيقية عن الإشـكالية الـتي تناولناها في هـذا البحث ؟

في إطار الإجابة عن هذا السـؤال، نشـير إلى أننا توصـنا انطلاقا من تحليلنا للمعطيـــات الميدانية الـــتي قمنا بتجميعها ، إلى خلاصة مفادها أن العصبية القبلية مازالت تفرض وجودها بأشـكال متفاوتة من داخل السلوكات الاجتماعية بجميع أبعادها لساكنة **أجلمـوس**، بما في ذلك تأثيرها الكبير على السلوك السياسي الانتخابي على الخصوص.

وهـذا ما يـدل على أن الانتخابـات المغربيـة، بـالرغم مما يدعيه صـانعوا القـرار السياسي المغـربي من حداثة سياسـية، وبـالرغم مما يرفعونه من شعارات زائفة يحـاولون من خلالها إيهـام الـرأي العـام -الوطني والدولي على الخصوص- بأن المجتمع المغـربي قد تم إقحامه بالفعل فيما يسمونه بالمسلسل الديمقراطي الحـداثي، فـإن السـلوك السياسي المغـــربي، رغم كل هـــذا وذاك مـــازال يســـتمد شـــرعيته ومحدداته من بعض الأشـــكال الاجتماعية والسياســـية العتيقة الـــتي تذكرنا بمراحل ما قبل الاستعمار.

من هنا يمكن أن نقول بان البنيـات التقليدية للمجتمع المغـربي، بـالرغم من كونها قد تبـدو للملاحظ البسـيط أنها قد تلاشت واختفت، فإنها ما تزال حاضرة بشكل قوي في اللاشعور الجمعي لهذا المجتمع، ولا تظهر للعيـــان إلا في بعض الســـلوكات الاجتماعية والسياســـية الموســـمية للمغاربـــة، وهـــذا ما يعطي لقاعـــدة "غاســـتون باشـــلار"

الابستيمولوجية مصداقيتها والتي مفادها أنه " لا علم إلا بما هو خفي".

لكن رغم كل هذا يبقى السـؤال الـذي يجب ان يطرحه كل بـاحث في هذا الميدان هو : هل استطعنا فعلا، بهذا البحث المتواضـع، أن نقـارب ظاهرة السـلوك الانتخـابي في علاقتها بالبنيـات القبليـة، بشـكل يغنينا عن أية دراسة أخـــــرى في نفس الموضـــــوع، خاصة إذا علمنا أن الظـاهرة الاجتماعية هي أغــنى وأعقد من أن تخــتزل في بحث واحد وبسيط كهذا ؟

مكناس في

.3/06/2008

المــراجـع (بيبليوغرافيا)

الكتب:

- ابن خلدون، عبد الرحمان ، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2004.
- أقفلي، حماني، السـلوك الاجتمـاعي والسياسي للنخبة المحليـة، مركز طــارق بن زيــاد، مطبعة فيــديربرانت، الربــاط، الطبعة الأولى، 2002.
- بلاندييــه، جــورج، الأنثروبولوجيا السياســية، ترجمة جــورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الاولى، 1986.
- بوطلاب، محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسـلة أطروحـات الـدكتوراه، (41)، مركز دراسـات الوحـدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.
- بورقيـة، رحمـة،الدولة والسـلطة والمجتمـع، دراسة في التـابث والمتحـول في علاقة الدولة بالقبائل في المغـرب، دار الطليعـة، بيروت، الطبعة الأولى ، 1991.
- بنسالم،ليليـا(وآخـرون) ، الانتروبولوجيا والتـاريخ : حالة المغـرب العــربي، ترجمة عبد الأحد الســبتي، وعبد اللطيف الفلــق، دار توبقال، البيضاء، الطبعة الأولى، 1998.
- الجـابري، محمد عابـد، العصـبية والدولـة، دار الطليعـة، بـروت، الطبعة الثانية، 1982.
- حمودي،عبد الله، الشيخ والمريد : النسق الثقـافي للسـلطة في المجتمعـــات العربية الحديثـــة، ترجمة عبد المجيد جحفـــة، دار توبقال، البيضاء، الطبعة الثالثة، 2003.

- حيمـــر، عبد الســـلام : الإصـــلاح، المـــوت ، والحقيقة : (دراسة سوســـيولوجية لبعض قضـــايا المغـــرب المعاصـــر)، كلية الآداب والعلـوم الإنسـانية، مكنـاس، سلسـلة دراسـات وأبحـاث (12). 2003.
- الخطيـــــــبي ، عبد الكبـــــير، النقد المـــــزدوج، منشـــــورات عكاض،الرباط،الطبعة الاولى،1990
- الـــديالمي ، عبد الصـــمد، ملامح تطـــور السوســـيولوجيا في المغـرب، منشـور في "نصـوص مختـارة"، محمد جحـاح، كلية الآداب مكناس، علم الاجتماع، 2007.
- الـزاهي، نـور الـدين، الزاوية والحـزب، الإسـلام والسياسة في المجتمع المغربي، مطبعة إفريقيا الشرق، بيروت، 2001.
- العـروي، عبد اللـه، مجمل تـاريخ المغـرب : المغـرب في عهد الوحـدة والسـطوة، المركز الثقـافي العـربي، البيضـاء، الطبعة الثانية، 2000.
- العطري، عبد الرحيم، صناعة النخبة بـالمغرب، المخـزن والمـال والنسب والمقدس، طرق الوصول إلى القمة، مجلة دفاتر وجهة نظر (9) مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 2006.
- قرنفل، حسن، النخبة السياسية والسلطة، مقاربة سوسـيولوجية للانتخابات التشريعية بالمغرب، إفريقيا الشرق، البيضاء، 1997.
- واتربوري،جون، الملكية والنخبة السياسـية في المغـرب، ترجمة :ماجد نعمة، وعبود عطيـة، دار الوحـدة، بـيروت، الطبعة الأولى، 1982.

<u>المجـــلات :</u>

- جحاح، محمد، الزوايا والمخزن أو علاقة السلطة بـالمجتمع في المغرب الماقبل كولونيالي، مجلة الاتحاد الأسـبوعي، العـدد 47- 28 فبراير، 6 مارس 2003.
- جحاح، محمد، الزوايا والمخزن أو علاقة السلطة بـالمجتمع في المغرب الماقبل كولونيالي، مجلة الاتحاد الأسـبوعي، العـدد 48. 7-13 مارس 2003.

البحوث الجامعية :

- جيبو، لحسن ، بحث لنيل الإجازة في القانون العام، تخصص إدارة داخليـة، حـول الجماعة القروية لأجلمـوس، تحت إشـراف، ذ/ احمد السنيهجي، كلية الحقوق، مكناس، 1997-1998.

المحـــاضــرات الجامعية :

- جحاح، محمد، محاضـرة تحت عنـوان، الأطروحة الانقسـامية بين الإرث الخلدوني والسوسيولوجيا الوضعية، شعبة علم الاجتمــاع، كلية الآداب، مكناس. 2006/2007.

الإدارات :

- إدارة الشؤون العامة، لقيادة اجلموس.
- الكتابة العامة لجماعة اجلموس.

المواقع الإليكتـرونية

- بن شـعيب، عمـر، السـلوك الانتخـابي :عوامـل، ومحـددات، الأربعـــــــاء 26 أيلـــــــول2007:ــــــــ (http//khaled-/md.Maktoobbog.com/541228...).

- كودي، محمد، التمــايز يســار/ يمين : أية حمولة سوســيولوجية ؟ الحوار المتمدن – العدد 1309ـ 2005/9/6 (http :www.ahi war .org).